كتاب

تنبيه الانام

الى

تاريخ الاسلام

تأليف
الفقير صالح المدهون
اليافي عفي عنه
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد الله مالك الممالك واصلي واسلم على رسوله الهادي لأقوم المسالك سيدنا محمد الذي افرغ الله عليه جميع الكمالات وزينه بانواع الفضائل وجمله بجميل الصفات وعلى اله الاقربين وصحابته اجمعين اهل الشيم والهمم وقادة العلاء والعظم الذين قد اعلوا كلمة الحق على الاباطيل وقوضوا دعائم الجور والاضاليل وطردوا عن النفوس شياطين الاوهام وطهروها من غاشيات الاحلام وسلم تسليماً كثيراً عليهم اجمعين (اما بعد) فان مما يتحلى به ويفتخر ويتزين به ويدخر علم التاريخ فانه اعظم عبرة لمن اعتبر واحسن موعظة لمن تنبه وتفكر لان من درس وقائع الايام واعمال الرجال يكون كأنما كان معهم وشاهد منهم الافعال وسمع منهم الاقوال فيستنبط الحكمة من أعمالهم الماضية ويجعلها نبراساً لأعماله الآتية وله فوائد لا تحصى ولا يمكن ان تستقصى ترغب الانسان على التحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن الفضائل والتخلي عن الخصائل المذمومة وكل فعل سافل وان من أحسن هذا العلم ذكراً ومن اعظمه شرفاً وقدراً تاريخ الأسلام لانه يشتمل على سيرة سيد الأنام وخلفائه الكرام والتابعين وتابع التابعين وكل من له قدم صدق من الملوك والسلاطين وذكر الرجال العظام والعلماء الأعلام ومن وجد لهم عمل يذكر وأثر يشكر وقد جمعت في هذا المختصر شيئاً من ذلك للعوام وسميته تنبيه الانام الى تاريخ الاسلام والله أسأل ولا أسأل سواه وأتوسل اليه بحرمة خير أنبياه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وينفع به النفع العميم ويرزقه القبول من فضله الجزيل اذ هو نعم الكفيل وهو حسبي ونعم الوكيل امين

﴿ اول قائم بامر الامة ﴾

هو الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم فقد ولد ليلة الاثنين قبيل شروق الشمس لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول على القول المشهور من عام الفيل وكان زمن الربيع ففاضت البركات على الناس وكان ابوه عبد الله قد توفي بالمدينة بعد حمله بشهرين على اصح الاقوال وتوفيت امه وهو في السنة السادسة من عمره فكفله جده عبد المطلب ثم لما توفي كفله عمه ابو طالب فشب صلى الله عليه وسلم فكان اعظم الناس مروءة وحلما وكمالاً واحسنهم جواباً وابلغهم خطاباً واصدقهم حديثاً ورأفة وامانة وابعدهم عما يمس طهارة الاخلاق والافعال وكان قومه من صباه يسمونه بالامين

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة تزوج السيدة خديجة بنت خويلد ولما بلغ خمسا وثلاثين اخذت قريش في تجديد بناء الكعبة ولما ارادوا رفع الحجر الاسود اختصموا على رفعه لان كل قبيلة هي التي تريد رفعه حتى انتهى الامر بينهم الى القتال ثم رجعوا عن ذلك واتفقوا على ان يحكموا اول داخل من باب الحزم فكان صلى الله عليه وسلم اول داخل منه فقالوا هذا محمد الامين وقد رضيناه ان يكون حكماً فلما اخبروه بالخبر طلب ثوباً فاحضروا له ثوباً فاخذ الحجر الاسود ووضعه في الثوب وقال لتاخذ كل قبيلة بطرف من اطراف الثوب ثم ارفعوا جميعاً ففعلوا حتى بلغوا به موضعه فوضعه بيده صلى الله عليه وسلم

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اربعين سنة ارسله الله رحمة للعالمين فبلغ رسالة ربه واول من آمن به من النساء السيدة خديجة ومن الرجال سيدنا ابو بكر رضى الله عنهم ثم تتابع الناس الى الاسلام وكانت الدعوة

في اول الامر سرًا فامره الله باظهارها بقوله (فاصدع بما تؤمر) فاجمعوا اهل مكة على مخالفته وتظاهروا له بالعدوان وانصرفوا الى اذيته واذية اصحابه وهموا بقتله وتعاهدوا وتحالفوا فاحبط الله اعمالهم

وقد كان صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس في منازلهم و يقول يا ايها الناس ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأً وكان ابو لهب يتبعه و يقول يا ايها الناس ان هذا يامركم ان تتركو دين ابائكم وهذا عار عليكم ولما نزل قوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون) عظم ذلك على كفار قريش وخافوا من انتشار الاسلام وميل اهل الانصاف اليه لما فيه من المحاسن المعقولة التي تميل اليها الطباع السليمة فاكثروا من تعذيب الذين امنوا واذوا المستضعفين فقتلوا سمية ام عمار بن ياسر وجعلوا الحبل في عنق بلال وطافوا به في شعاب مكة المكرمة وعذبوه عذاباً شديداً كما عذبوا عمار بن ياسر ونال المسلمون منهم شدة عظيمة فاذن صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالمهاجرة الى بلاد الحبشة وذلك في السنة الخامسة من البعثة فاكرم النجاشي من قدم منهم واحسن مثواهم فبعث قريش قوماً منهم ومعهم هدية للنجاشي وطلبوا رد من هاجر فلم يجبهم ورد هديتهم

وفي سنة ست من البعثة اسلم سيدنا عمر بن الخطاب وكان ذلك بعد اسلام سيدنا حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة ايام وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول في دعائه اللهم اعز الاسلام باحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب او بعمرو بن هشام (وهو ابو جهل) وكان المسلمون يومئذٍ تسعة وثلاثين رجلاً فكمل الله به الاربعين وكان عمر رضي الله عنه يحدث عن اسلامه و يقول بلغني اسلام اختي فاطمة زوج سعيد بن زيد وقد كنت من اشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيني رجل من قريش فقال لي الى اين تذهب انت تزعم انك الصلب

القوي في دينك وقد اسلمت اختك فرجعت مغضباً حتى جئت الباب
فقرعته فقيل من هذا قلت عمر وكان القوم جلوساً يقرؤون صحيفة معهم فلما
سمعوا صوتي تبادروا واختفوا ونسوا الصحيفة فقامت المراة ففتحت لي فقلت
يا عدوة نفسها بلغني انك صبأت (خرجت عن دينها) ثم ضربتها علي
وجهها فسال الدم فلما رات الدم بكت وقالت انضربني يا عدو الله على اني
اوحد الله لقد اسلمنا على رغم انفك فما كنت فاعلا فافعل فجلست وانا
مغضب فنظرت في ناحية البيت صحيفة فقلت اعطونيها اقرأها فقالت لا
اعطيها لك لانك لا تغتسل من الجنابة ولا يمسه الا المطهرون فقلت لها
ويحك قد وقع في قلبي ما قلت فاعطنيها انظر اليها ولا اخونك حتى تحوزيها
فقالت انك رجس فانطلق فاغتسل اوتوضأ فذهبت واغتسلت ثم جئت
فدفعتها الي فاذا فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) فقلت اسماء طيبة طاهرة
(طه ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلاً ممن
خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في
السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه
يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) فعظمت في
صدري وقلت من هذا فرت قريش ولما بلغت (فلا يصدنك عنها من لا
يؤمن بها واتبع هواه فتردى) تشهدت وقلت ما ينبغي لمن يقول هذا ان
يعبد معه غيره دلوني على محمد فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً
بما سمعوه مني وحمدوا الله تعالى ثم قالوا يا ابن الخطاب ابشر فان الرسول
صلى الله عليه وسلم دعا فقال اللهم اعز الاسلام باحب الرجلين اليك بعمر
ابن الخطاب او بعمرو من هشام وانا نرجو ان تكون دعوته لك ثم
ذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم في دار الارقم فقرعت الباب فقيل من
قلت ابن الخطاب فاحجموا عن فتح الباب فقال صلى الله عليه وسلم
افتحوا له فان يرد الله به خيراً يهده ففتحوا الي فدخلت فاخذ النبي صلى

الله عليه وسلم بمجامع ثوبي وحمائل سيفي وهزني وقال اسلم يا ابن الخطاب اللهم اخرج ما في صدر عمر من غل وابدله ايماناً فقلت اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله) فكبر النبي وكبر المسلمون وكان الرجل اذا اسلم اخفوا اسلامه فقال عمر يا رسول الله السنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم فقال ففيم الخفاء وعلى م نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل فقال يا عمر انا قليل وقد رايت ما لقينا فقال عمر والذي بعثك بالحق نبيا لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان وما زال عمر رضي الله عنه يراجع النبي صلى الله عليه وسلم حتى وافقه فخرجوا صفين في احدهما عمر وفي الاخر حمزة رضي الله عنهما فاصاب قريش من ذلك كآبة عظيمة ومن ذلك اليوم سماه صلى الله عليه وسلم بالفاروق لانه فرق بين الحق والباطل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر فلقد كان اسلامه عزا وهجرته نصرا وامارته رحمة فوالله ما استطعنا ان نصلي حول البيت ظاهرين حتى اسلم عمر رضي الله عنه

وفي سنة ثلاث عشرة من النبوة جاء ثلاثة وسبعون رجلاً وامراتان من الاوس والخزرج وتواعدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاجتماع في العقبة في ايام الموسم فتم الاجتماع ليلا وبايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان لا يخافوا في الله لومة لائم وعلى ان ينصروه ولما علم كفار قريش بما حصل عظم الامر عليهم واقدموا على تعذيب المسلمين وضيقوا عليهم فامر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بالهجرة الى المدينة فهاجروا متتابعين ثم هاجر صلى الله عليه وسلم واستصحب معه ابا بكر رضي الله عنه ولما فقدته قريش طلبوه فلم يجدوه لانهم تواعدوا على قتله فارسلوا في اثره من كل وجه وجعلوا مائة ناقة لمن يرده فلم يظفروا به لانه صلى الله عليه وسلم لما علم

بان القوم لحقوه دخل الغار هو وصاحبه فامر الله عنكبوتاً فنسجت على باب الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار و باضتا على بابه واقبل فتيان قريش من كل بطن حتى وصل بعضهم الغار وصدهم وجود الحمامتين وقال بعضهم ادخلوا الغار لعله به فقال امية بن خلف ان على بابه عنكبوتاً اقدم من ميلاد محمد ولو دخل لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت

وفي الصحيح ان ابا بكر قال يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال له رسول الله ما ظنك باثنين الله ثالثهما ومكثا في الغار ثلاث ليال ثم انطلقا قاصدين المدينة فادركهما في الطريق سراقة بن مالك وتعرض لهما فبكي الصديق فاشار صلى الله عليه وسلم الى سراقة فساخت قوائم فرسه في الارض حتى بلغت الركبتين فاستغاث سراقة برسول الله بشرط ان لا يتعرض لهما فاغاثه ثم لما وصل النبي صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه الى المدينة فرح المسلمون فرحاً عظيماً لان الاسلام كان قد انتشر في جميع دور المدينة

وكان صلى الله عليه وسلم كلما مر على دار من دور الانصار يدعونه الى المقام عندهم فيقول لهم بارك الله فيكم فنزل على باب ابي ايوب خالد ابن زيد الانصاري ثم ابتاع صلى الله عليه وسلم محل مسجده الشريف من بني النجار بعشرة دنانير و بني فيها المسجد و بجانبه بيوتاً وعند ظهور قوة الاسلام بالمدينة قامت نفوس احبار اليهود فتظاهروا بعداوة رسول الله واصحابه ورمتهم جميع العرب عن قوس واحد فظلوا في المدينة في اشد الخوف والوجل حتى كانوا يقولون ياهلترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف الا من الله عز وجل فانزل الله تعالى عليهم هذه الآية تطمينا لهم وتسكينا لروعهم (وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً)

ثم لما تجمهرت عليهم القبائل وأتتهم متحمشة حافدة بقصد ابادتهم واصطلامهم اذن الله لهم ان يدافعوا عن انفسهم و يثبتوا ووعدهم بالنصر والتمكين والفتح المبين فقال لهم (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله)

فكان سيد الوجود عليه الصلاة والسلام ومن معه من النفر القليل يلاقون بصدورهم تلك الجيوش الهائلة والكتائب المتراكمة وهم مطمئنون متيقنون ان الله لا بد ان يحقق وعده لهم و يمدهم حيث قال (كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله لقوي عزيز)

فاستعرت نيران الحروب بين طائفة المؤمنين القليلة العدد والعدد وبين سائر قبائل العرب مدة مديدة امتحن الله في اثنائها قلوب عباده واختبر صبرهم وطاعتهم لاوامره وامرهم على كل ما يمكن تصوره من المصائب حتى تنقت قلوبهم من كل شائبة وصار ايمانهم انقى من القاء واصفى من الماء فلم يكن غير قليل حتى وطد الله امرهم وظفرهم على عدوهم وصارت كلمتهم هي العليا وكلمة اعدائهم هي السفلى لقوله تعالى (وكان حقاً علينا نصر المومنين)

ولما صاروا قادرين على ابادة اضدادهم عن بكرة ابيهم امرهم الله ان لا يتبعوا دواعي التشفي والانتقام حتى لا يخرجوا عن حدود العدل والحكمة واراهم ان ذلك يعد ظلماً وعدوانا فانزل الله على نبيه (ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب) وكان عدد مغازيه التي غزا فيها بنفسه تسعا وعشرين وهي غزوة وَدَّانَ (وَبوَاطٍ) وَالْعُشَيْرَةِ وبدر الاولى وبدر

الكبرى وَقَرْقَرَةِ الكُدْرِ وبني قَينُقَاع وَالسَّوِيقِ وَغطفَانَ وَنجْرَان واُحُدٍ وَحَمْرَاء الاسَدِ وَبَني النضيرِ وذات الرِّقَاعِ وَبَدْرِ الاَخيرَةُ وَدُومَةِ الجَنْدَلِ وَالمُرَيْسِيعِ والخندقِ وبني قُرَيْظَةَ وبني لحيانَ وَالغابَةِ وَالْحُدَيبِيَةِ وَخَيْبَرَ ووادي القُرى وعمرة القضاء وفتح مكةَ المشرفةِ وَحنينٍ والطائفِ وَتبُوكَ

واما سراياه صلى الله عليه وسلم التي بعث فيها اصحابه فسبع واربعون

(حالة العرب قبل الأسلام)

اعلم ان العرب كانوا منقسمين الى قبائل عديدة كلها متوارثة الاحقاد اهل بغي وعناد يشنون الغارة على بعضهم و بينهم على الدوام حروب وفتن فليس لهم قانون يصلح حالهم ولا قواعد تضمن لهم استقبالهم وعاداتهم اعظم ضرر بالحياة المدنية و بالجملة فقد كانوا من الجهالة وسوء التربية بدرجة هي نهاية التوحش وتمام الغلظة قساة القلب حتى ان الرجل منهم كان يذهب بابنته الى الفلاة وهي على ذراعه فيحفر لها حفرة وهي تنظر اليه وتحنو بفوأدها عليه فلا يجد في نفسه فؤاداً يحن اليها ولا جارحة تعطف عليها فيدفنها بيده وهي حية و يذهب الى اهله فرحاً مسروراً كانه مافعل الا ما استحق عليه حسن السمعة فانظر بالله الى هذه القلوب القاسية والاحساسات العاتية وما احسن ما وصفهم العارف بالله سيدي الامام البرعي من قصيدة مدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم فقال

اتى والجاهلية في ضلال	وكفر نعبد الحجر الأصنا
ونأكل ميتة ودما وتسطو	على موءودة الاطفال دفنا
فجاء بملة الاسلام يتلو	مثاني في الصلاة الخمس تثنى
و بدلهم بجور الشرك عدلا	وبالخوف الذي يجدون امنا

فماذا كان من امرهم بعد بعثة هذا الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم كان من امرهم ان توحدت كلمتهم واتحدت وجهتهم وقاموا من وسط هذه الغابات يحملون للاقطار انوار المدنية و يؤسسون اركان العدل والانسانية فدوخوا العباد واصلحوا البلاد وصارت دولتهم دولة العالم باسره (الامر الذي حير الفلاسفة وادهش العقلاء بعد ان مضى عليهم الوف من السنين وهم على تلك الحالة التي سمعتها قبل اسلامهم ولما اشرقت شمس النبوة على بطون اوديتهم ووهادهم ودخل نورها الى صميم فؤادهم فكوا عقد هذه العوائد المضرة وقاموا من وسط هذه الحياة الكدرة وداووا جراح افئدتهم مما اصابها من سهام تلك الحوادث واصلحوا القروح من طعنات هاتيك الكوارث فسادوا على الخلق بعلو الهمم وعظيم الفضائل وحسن الشيم على مقتضى قواعد الحكمة العظمى التي لا ياتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها واشتاقت نفوسهم الى فهم هذا الكنز المصون وحازت من المدنية ما قدر لها في العلم المصون ونالت من العواطف ما لم تنله امة تربت في مهد العلم وتغذت بلبان الفضل وصار كل واحد منهم مثالاً للشهامة والفضيلة مثالاً للعواطف والاخلاق الجميلة قاموا يعلمون فلاسفة الأخلاق باقوالهم وافعالهم فصور ما دونوه في دفاترهم واسفارهم فكانوا كالملائكة بالوقار وكالاكاسرة بالهمة والاقتدار فانظر الى الامام عمر رضي الله عنه وتأمل ما كان عليه قبل الاسلام ولماذا آل امره اليه بعد بضع وعشرين سنة فقد اعز الله به الاسلام وحفظ به قوام هذا الملك العظيم وقد وصل من التقوى ورقة القلب الى درجة لم نسمعها عن احد في تاريخ البشر وفعل فعالا يقصر عنه رجل تربى في السياسة و يعجز عنه فيلسوف ترعرع في مهد الحكمة من اين حصل لهم ذلك هل درسوا الاخلاق في المدارس العالية او قرؤا علم العمران في المعاهد البرلمانية (كلا) لا شيء من ذلك بل كانوا يقرؤن الآيات الكريمة و يتدبرون هذه المعاني المستقيمة والعدالة

القوية وارتاضوا بأخلاق هذا الرسول الكامله فهذبتهم وجنبتهم تلك الأخلاق السافله مع ما كانوا يرون له في كل يوم من الايات الباهرات والمعجزات المدهشات ما لا يدخل تحت حصر

ومن شمائله صلى الله عليه وسلم انه كان احسن الناس خلقا واجملهم صورة عظيم العينين اهدب الاشفار واضح الجبين مقرون الحاجبين حسن الجسم كث اللحية شديد الهيبة معتدل العنق معتدل الطول افصح الناس نطقاً واعذبهم كلاماً واوسعهم صدراً والينهم عريكة واكرمهم عشيرة لا يشافه احداً في مكروه حتى اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا او يفعل كذا بل يقول ما بال اقوام يقولون كذا او يفعلون كذا وكان لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو و يصفح وكان يجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين و يعود المرضى في اقصى المدينة و يشهد الجنائز و يقبل عذر المعتذر

ولم تكن منه هذه المعاملة للمسلمين فقط (كلا) بل ان الذي رويناه عنه بالاسانيد الصحيحة والمدارك المعتبرة ان معاملته هذه كانت عمومية للمسلمين والجميع من دخل تحت رايته واحتمى بحمايته من اهل الكتاب ولذلك حثنا على عدم التعرض لاذاهم او ما يكدر عليهم راحتهم وامرنا بمجاملتهم لا من باب المواربة والمداهنة طمعاً فيهم او خوفاً منهم لا بل عن صفاء نية وخلوص طوية ونهانا عن غيبة احدهم كما نهانا عن غيبة احدنا تماماً ولنا به اسوة حسنة فانه صلى الله عليه وسلم كان يحضر ولائمهم و يغشى مجالسهم . و يشيع جنائزهم و يعزيهم على مصابهم وفي كتاب الخراج للامام ابي يوسف رحمه الله في هذا السبيل ما يشفي العليل وقد روى الحاكم وغيره عن زيد بن سعنة وهو اجل احبار اليهود الذين اسلموا فقد قال انه لم يبق من علامات النبوة شيء الا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده

شدة الجهل عليه الا حلماً فكنت اتلطف لان اخالطه فاعرف حلمه فابتعت منه تمرًا الى اجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين او ثلاث اتيته وهو جالس بين اصحابه فاخذت بمجامع قميصه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت له الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب قوم مطل فعندها صاح عمر في وجهه وقال له يا عدو الله اتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما احاذر فوته لضربت راسك بهذا السيف والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر في سكون وتبسم ثم قال له صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا احوج من هذا منك يا عمر وهو ان تامرني بحسن الاداء وتامره بحسن التقاضي اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً مكان مارعته ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه محمد الا اثنتين لم اخبرهما فقد اختبرتهما اشهدك اني قد رضيت بالله ربا و بالاسلام دينا و بمحمد نبيا ورسولاً

ومن اخلاقه صلى الله عليه وسلم فقد ذكر المحب الطبري انه كان عليه الصلاة والسلام في سفر فأمر اصحابه باصلاح شاة فقال رجل منهم عليّ ذبحها وقال الاخر وعليّ سلخها وقال الاخر وعليّ طبخها فقال عليه الصلاة والسلام وعليّ جمع الحطب فقالوا نكفيك العمل يا رسول الله فقال لهم قد علمت بانكم تكفوني ولكن اكره ان اتميز عليكم لان الله تعالى يكره من عبده ان يراه متميزًا بين اصحابه

ومنها انه لما قدم وفد النجاشي الى المدينة قام صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه فقالوا له نكفيك خدمتهم يا رسول الله فقال نعم ولكن ملكهم لما قدم عليه قومنا خدمهم بنفسه وانا احب ان اكافئه بخدمة قومه بنفسي

فما سمعنا في تاريخ البشر ان عظيم امة عظيمة هزت بسطوتها عروش الاكاسرة وذلت بهيبتها عتاة الجبابرة انه نزّل نفسه هذه المنزلة التي يستنكف عنها بعض الاتباع طالع تواريخ الأمم وقلّب اسفارها ورقة بعد اخرى فلم

يمكن ان تجد هذه المساواة الباهرة وهذه العدالة المدهشة الا في تاريخ الامة الاسلامية

واعلم ان اصل هذه الخصال الحميدة هو كمال العقل الذي يتفرع عنه اقتناء انواع الفضائل واجتناب الرذائل واصابة الراي وجودة الفطنة وحسن السياسة والتدبير وقد كان صلى الله عليه وسلم مجبولا على الاخلاق الكاملة ومحاسن الشيم الشاملة ولم يحصل له ذلك برياضة نفس بل بجود الهي ولهذا لم تزل تشرق عليه انوار المعارف حتى وصل الى اسمى الدرجات واعلى المقامات ومن تامل حسن تدبيره لهولاء العرب الذي قدمنا انهم كانوا كالوحش الشارد مع الطبع المتنافر المتباعد وكيف ساسهم واحتمل جفاهم وصبر على اذاهم الى ان انقادوا اليه واجتمعوا عليه واختاروه على انفسهم وقاتلوا دونه اهلهم واباءهم وابناءهم وهجروا في رضاه اوطانهم واحباءهم من غير ممارسة سبقت له ولا مطالعة كتب يتعلم منها سير الماضين يعلم انه اعقل العالمين صلى الله عليه وعلى اله واصحابه اجمعين

قصة الاسراء والمعراج

اعلم ان قصة الاسراء والمعراج هي من اشهر المعجزات واقوى الحجج المحكمات والصحيح انه اسراء واحد بروحه وجسده يقظة في القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من العلماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين في الاخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عنه وقد ورد حديث الاسراء عن كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم

روى البخاري بسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به فقال بينا انا نائم في الحطيم اذ اتاني آت فشق ما بين هذه الى هذه (اي من نحره الى تحت صرته) فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوئة ايمانا فغسل ثم حشي ثم اعيد ثم اطبقه ثم أتيت

بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض قال انس هو البراق يطأ حافره عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا ثم ساق البخاري الحديث بطوله وذكر صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالانبياء في بيت المقدس ووصف المعراج الذي اوتي به اليه صلى الله عليه وسلم فصعد منه الى السماء وقال ابن مسعود في وصف هذا البراق انه اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه لاجل راحة الراكب عليه وقد راى في هذا الاسراء والمعراج صلى الله عليه وسلم من الايات الباهرات والمعجزات والكرامات ما يقصر عن وصفه اللسان ولما وصل الى المقام الاعلى (ودنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى (الله) الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما راى أفتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من ايات ربه الكبرى)ثم فرض عليه وعلى امته خمسين صلاة في اليوم والليلة ولما رجع اخبر موسى فقال له ان امتك لا تطيق ذلك فلم يزل عليه الصلاة والسلام يسال الله حتى جعلها له خمسا في العمل وخمسين في الاجر والثواب ثم رجع صلى الله عليه وسلم والليل على حاله ولما اصبح حدث القوم بما راه فمنهم من كذب ومنهم من صدق وقد اتى رجال من مشركي مكة الى ابي بكر رضي الله عنه فقالوا له هل لك الى صاحبك يزعم انه وصل الليلة الى بيت المقدس وهل تصدقه انه وصل الليلة الى بيت المقدس فقال نعم اني لا صدقه بابلغ من ذلك فقالوا له وقد زعم انه عرج الى السموات ايضاً فهل تصدقه فقال لهم نعم اصدقه فلذلك سمي الصديق ثم اتاهم بامارات كثيرة وعلامات تدل على امراءه فصدقه من صدقه وفازوا بالسعادة الابدية وكذبه من كذبه واستحقوا البعد عن هذه النعمة العلية

واستمر الحال على ما تقدم من ظهور الاسلام ووقوف المشركين في

وجه تقدمه الى ان مرض صلى الله عليه وسلم في اواخر صفر وقبض يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وكان ابو بكر في منزله وعمر بن الخطاب حاضر فعظم عليه الامر فقام وسل سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ ابا بكر الخبر فاقبل الى بيت عائشة رضي الله عنها فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثي على ركبتيه وجعل يقبله ويبكي ويقول توفي والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يارسول الله ما اطيبك حيا وميتا ثم خرج وجمع الناس وقام فيهم خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال الله تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شياً وسيجزي الله الشاكرين) فكأن الناس لم يعلموا هذه الاية ولذلك قال عمر بن الخطاب فوالله كأني لم اتل هذه الاية ودل ذلك على كمال شجاعة الصديق رضي الله عنه لان الشجاعة هي ثبات القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة اعظم من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دفن صلى الله عليه وسلم بالمكان الذي قبض فيه في الحجرة التي بناها الام المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعمره ثلاث وستون سنة صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين

✻ اول الخلفاء الراشدين ✻

ثم قام بالامر بعده خليفته على الصلاة ايام مرضه وابن عمه الاعلى ونسيبه وصهره ومونسه في الغار وصديقه الاكبر وخير الخلق بعده سيدنا ابو بكر الصديق رضي الله عنه بويع له بالخلافة في اليوم الذي توفي به الرسول صلى الله عليه وسلم

ثم اسرع رضي الله عنه بتجهيز الجيوش لقتال اهل الردة ومانعي الزكاة وعقد احدى عشر لواء وامرهم بالمسير ثم جهز جيش اسامة بن زيد الذي كان جهزه النبي صلى الله عليه وسلم لاخذ ثار ابيه زيد وجعله صلى الله عليه وسلم اميرا عليه فلما وصل هذا الجيش بذي خشب قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوقفوا عن المسير ولما استخلف الصديق سير هذا الجيش عملا بامر النبي صلى الله عليه وسلم تحت امارة اسامة ثم خرج الصديق يودعهم ماشياً الى خارج المدينة ثم اوصاهم ان لا يخونوا ولا يغدروا ولا يغلوا ولا يمثلوا ولا يقتلوا الطفل ولا المرأة ولا الشيخ ولا يحرقوا نخلاً ولا يقطعوا شجرة ولا يذبحوا شاة ولا بعيرًا الا للاكل وقال لهم اذا مررتم بقوم فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له واذا قرب اليكم الطعام فاذكروا اسم الله عليه ثم قال الصديق لاسامة ان رايت ان تاذن لعمر بالمقام عندي حتى استعين برايه على امور المسلمين فقال له اسامة الامر بيدك ثم سار اسامة وكان لا يمر بقبيلة تريد الارتداد الا رجعها ويقولون لولا ان لهولاء قوة ما خرجوا بمثل هذا الجيش ثم لقوا في طريقهم الروم فقاتلوهم ورجعوا سالمين وكان انفاذ هذا الجيش من اعظم المنافع للمسلمين لان الناس قد كفوا عن كثير مما كانوا يريدون ان يفعلوه

ثم جهز الصديق رضي الله عنه خالدا الى العراق وبعث معه المثنى بن حارثة الشيباني ففتحوا بلاداً كثيرة في العراق وكان كلما غنموا شيأ بعثوا الخمس الى الصديق وبشروه بالفتح

ثم ان الصديق حدثته نفسه بغزو بلاد الروم فجمع الصحابة وشاورهم في هذا الامر فكلهم استصوبوه وقالوا جميعاً ما رايت من الراي فامضه فاننا لك سامعون ولامرك مطيعون فالتفت الى علي وقال له ما تقول يا ابا الحسن فقال ارى انك مبارك الامر موفق منصور انشا الله فقال له بشرك الله بخير لقد سررتني امرك الله في الدنيا والاخرة ثم انه جمع الناس وقام

خطيباً بهم يرغبهم في الجهاد و ينشطهم و كتب كتباً الى البلاد وامرهم بالحضور واقام ينتظر قدوم الوافدين فاجابوا جميعا بالسمع والطاعة وتجهزوا في عددهم وعددهم واقبلت القبائل افواجاً فسر بذلك الصديق ثم عقد الألوية وامّر الامراء و بعثهم الى الشام متتابعين وجعل ابا عبيدة اميراً على الجميع وكلما توجه امير يودعه و يوصيه بتقوى الله وحسن الصحبة والمواظبة على الصلوات بالجماعات في اوقاتها وان يصلح كل منهم نفسه حتى يصلح الله له الناس وان يكرموا رسل العدو اذا قدموا عليهم وان يقللوا لبثهم عندهم حتى يخرجوا من عسكرهم وهم جاهلون امرهم بحيث لم يطلعوا على شيء من الخلل وان يمنعوا عسكرهم من محادثتهم وان يكون الآمر هو المتولي لكلامهم وان يكثروا الحرس و يفرقوهم بين العسكر ومن يتغافل من الحرس يعاقب من غير افراط وان يجعلوا على الحرس النوبة الأولى اطول من الاخيرة وهكذا ثم ساروا وتفرقوا في بلاد الشام ففزع الروم لما رأوا ان العسكر احاطوا بهم من كل جانب فارسلوا الى ملكهم فامدهم بجموع كثيرة فلما راى المسلمون ذلك الامر الخطير علموا ان الاجتماع اولى من التفرق فاجتمعوا باليرموك وهو واد بناحية الشام وجاء الروم واجتمعوا به ايضاً فاستمد المسلمون من ابي بكر فكتب رضي الله عنه الى خالد بن الوليد بالعراق وامره بالمسير الى الشام و يلتقي ابا عبيدة ومن معه وان ياخذ نصف العساكر الذين معه بالعراق و يستخلف على النصف الثاني المثنى بن حارثة ومتى التقيتم بالشام فانت امير الجيش والسلام ثم سار خالد حتى وصل الى المسلمين وكتب كتاباً لابي عبيدة وارسله مع عمرو بن الطفيل وفيه اما بعد فاني اسال الله لي ولك الامن يوم الخوف والعصمة في دار الدنيا من كل سوء فقد اتاني كتاب خليفة رسول الله يامرني فيه بالمسير الى الشام و بالقيام على جندها والتولي لامرها والله ما طلبت ذلك ولا اردته فانت على حالك التي كنت عليه فلا نعصيك ولا

تخالفك ولا نقطع دونك امرًا وانت سيدنا ولا ننكر فضلك ولا نستغني عن رأيك تمم الله بنا وبك من احسان ورحمنا واياك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته فلما قرأ ابو عبيدة كتاب خالد قال بارك الله بخليفة رسول الله فيما رأى وحيا الله خالدًا على ما صنع وكان الصديق قد كتب لابي عبيدة كتابًا يقول فيه اما بعد فاني قد وليت خالدًا على قتال العدو بالشام فلا تخالفه واسمع واطع له فاني يا اخي لم ابعثه عليك لاجل انه عندي خير منك كلا ولكنني ظننت ان له فطنة في الحرب في هذا المكان الحرج اراد الله بنا وبك خيرًا والسلام ثم التقوا والتحم القتال ودام الحرب اياما كثيرة الى ان تمت الهزيمة على الروم وكان القتلى من الروم لا يحصى عددهم والاسرى كذلك وفي اثناء حروبهم في هذه الوقعة اتى خبر الى خالد من المدينة يفيد ان ابا بكر رضي الله عنه قد توفى وقد ولي عمر بن الخطاب وامر بعزل خالد وتولية ابي عبيدة على الجيش فاسر هذا الخبر ولم يعلم احدًا لئلا يحصل اضطراب بالجيش ولما تبلغ ابو عبيدة الامر من امير المؤمنين اسره ايضاً لهذه العلة فتم الحرب وغنم المسلمون غنائم كثيرة وهذه كانت من اعظم وقائع الاسلام

اما وفاة ابي بكر رضي الله عنه فقد كانت في السنة الثالث عشرة من الهجرة ليلة الثلاثا لسبع بقين من جمادى الاخرة عن ثلاث وستين من عمره وكانت خلافته سنتين وثلاثة اشهر وثلاثة ايام ودفن في بيت عائشة بجانب قبر النبي صلى الله عليه وسلم وحين اشتد مرضه رضي الله عنه جمع عنده طلحة وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من كبار الصحابة وشاورهم بانه يريد ان يستخلف عمر بن الخطاب فكلهم استحسنوا ذلك واثنوا على رأيه فاشرف على الناس وقال لهم اني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا واطيعوا ثم رفع يديه وجعل يقول اللهم اني اردت بذلك اصلاحهم وخفت عليهم الفتنة فوليت عليهم خيارهم وقد

حضرني من امرك ما حضرني فاخلفني فيهم وهم عبادك ونواصيهم بيدك فاصلح لهم ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدي نبيك نبي الرحمة واصلح له رعيته ثم دعا عثمان بن عفان وامره بكتب كتاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به ابو بكر خليفة رسول الله عند آخر عهده بالدنيا واول عهده بالاخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر و يوقن فيها الفاجر اني استعملت عليكم عمر بن الخطاب فان صبر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه وان جار و بدل فلا علم لي بالغيب والخير اردت ولكل امرء ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ثم ختمه وخرج به عثمان فقراه على الناس و بايعوا عمر بن الخطاب اما ابو بكر رضي الله عنه فقد كان كبير الشان زاهدًا خاشعًا اماماً حليماً وقورًا شجاعًا صابرًا رؤفًا عديم النظير في الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ومناقبه كثيرة جدًا وفي اول ولايته جمع الناس وقام فيهم خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس قد وليت عليكم ولست بخير منكم وان اقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له حقه وان اضعفكم عندي القوي حتى اخذ منه ايها الناس انما انا متبع لا مبتدع فان اصبت الحق فاعينوني عليه وان زغت عنه فقوموني وفي مرضه اوصى رضي الله عنه ببيع ارض له و بصرف ثمنها الى بيت المال عوض ما اخذه من رواتبه في مدة خلافته وذكر المسعودي في صفة ابي بكر رضي الله عنه انه كان ازهد الناس واكثرهم تواضعًا في اخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه وقدم عليه ملوك اليمن وعليهم الحلي والبرد المثقل بالذهب والتيجان المرصعة فلما شاهدوا ما على الخليفة من اللباس مع ما هو فيه من الهيبة والوقار ذهبوا مذهبه وخلعوا ما كان عليهم حتى ان بعضهم مر يوماً في سوق من اسواق المدينة وهو واضع على كتفه جلد شاة فصرخت عشيرته وقومه وقالوا له لقد فضحتنا بين المهاجرين والانصار فقال لهم ويحكم ان هؤلاء يفتخرون بالاعمال لا بالملابس والحلي

واردنا ان نتأسى بسيدنا وسيدهم واميرنا واميرهم وهو ابو بكر رضي الله عنه وذكر الشعراني ان ابا بكر رضي الله عنه كان يقول (ان هذا الامر لا يصلح اخره الا بما صلح به اوله ولا يحتمله الا افضلكم مقدرة واملككم لنفسه) فأمر هذه الامة لا يصلح الا اذا كانوا على سيرة الصحابة وكان خليفتهم كالخلفاء الراشدين فيسير بهم كسيرهم رضوان الله عليهم اجمعين

﴿ ثاني الخلفاء الراشدين ﴾

هو امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقبه صلى الله عليه وسلم بالفاروق لانه فرق بين الحق والباطل ولد رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة واسلم في السنة الثالثة من البعثة وله حينئذٍ سبع وعشرون سنة قام بالامر بعد ابي بكر رضي الله عنه بوصية منه كما تقدم و بويع له بالخلافة في اليوم الذي توفي به الصديق فقام بمثل سيرته وجهاده وصبره واعز الله به الاسلام وقد ملأ الارض عدلاً وسياسة رضي الله عنه

وقد تقدم انه اصدر امره بعزل خالد عن الامارة وتولية ابي عبيدة ثم بعد فتح بيت المقدس حين قدم من المدينة لاجل فتحها ففتحها واقام بها عشرة ايام ورجع الى المدينة واخذ خالداً معه وعزله بتاتاً فشكا خالد عمر الى الناس وقال له انك في امري غير مجمل فقال له عمر من اين لك هذا يا ابن الخالة فقال له من هذه المعاملة فقال له والله يا خالد انك عليَّ الكريم وانك اليَّ لحبيب وكتب الى البلاد والامصار يقول لهم اني لم اعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ولكن عزلته شفقة على النفوس من سرعة هجماته وشدة صدماته وكان خالد ابن خالة عمر وله ترجمة واسعة رضي الله عنه توفي في خلافة عمر بحمص ولما حضرته الوفاة قال لقد شهدت حروباً كثيرة وما في بدني موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا اموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت اعين الجبناء فرحمه الله ورضي عنه

وفي سنة ثمان عشرة من الهجرة وقع بالشام طاعون مات فيه خمسة وعشرون الفاً ومات فيه ابو عبيدة رضي الله عنه امير الشام ثم استخلف بعده معاذ ابن جبل فطعن ومات ثم استخلف عليها عمرو بن العاص فطعن ايضاً ومات ثم استخلف عليها معاوية بن ابي سفيان وكان عمر رضي الله عنه قدم الى الشام في مدة ذلك الطاعون فلما قرب من الشام لقيه امراء الاجناد فيهم ابو عبيدة فاخبروه بالوباء وشدة وطأته وكان معه كثير من المهاجرين والانصار فاستشارهم في امر الدخول على الشام فمنهم من اشار بالدخول ومنهم من اشار بعدم الدخول فكان من رأي عمر عدم الدخول فقال له ابو عبيدة افراراً من قدر الله يا عمر فقال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله

ثم قدم عبد الرحمن بن عوف واخبر القوم انه سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم حديثاً في ذلك وهو (اذا سمعتم بالوباء ببلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع ببلدة وانتم بها فلا تخرجوا فراراً منه) وكان هذا الحديث موافقاً لما رآه عمر رضي الله عنه فانصرف بالناس الى المدينة

وفي سنة ثلاث وعشرين من الهجرة حج عمر رضي الله عنه ورجع الى المدينة وفي ختام هذه السنة طعنه ابو لؤلؤة فيروز مملوك المغيرة بن شعبة اصله من نهاوند كان مجوسياً وسبب قتله لعمر أن مولاه المغيرة كان يستغل منه كل يوم اربعة دراهم فلقي عمر يوماً فقال يا امير المؤمنين ان المغيرة قد اثقل عليَّ غلتي فكلمه لي ليخفف عني فقال له عمر رضي الله عنه اتق الله واحسن الى مولاك فغضب ابو لؤلؤة واضمر على قتله فصادفه يوماً وهو خارج لصلاة الصبح ولما استوت الصفوف للصلاة دخل بين الصحابة وبيده خنجر مسموم وطعنه به ثلاث طعنات وصار لا يمر على احد يميناً وشمالاً الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً ولما علم انه ممسوك لا محالة نحر نفسه وتوفي عمر رضي الله عنه بعد طعنه بيوم وليلة عن ثلاث وستين سنة من عمره وكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر

فمن تصفح التاريخ ووقف على تفصيل اعمال هذا الامام الجليل وامعن النظر فيما له من الايادي البيضاء وما اجراه الله على يديه وما حصل للاسلام واهله بسببه وما فتح من الفتوحات الكبار من المدائن والامصار يعلم ان كل خير وقع للأمة منذ خلافته رضي الله تعالى عنه الى يوم القيمة هو من فضائل عمر ومن حسناته فانه جاهد في الله حق جهاده وجيش الجيوش وفتح البلاد كدمشق والروم والقادسية حتى انتهى الفتح الى حمص وحلوان وطرابلس وما يليها من السواحل و بيت المقدس ومصر و بلاد العجم والحاصل ان فتوحات هذا الأمام الجليل لا تحصى وهو الذي وسع المسجد الحرام وعمر مسجد النبي عليه الصلاة والسلام والمسجد الاقصى وهو اول من جمع الناس الى صلاة التراويح واول من وضع الديوان واول من وضع التاريخ في الاسلام واول من تسمى باميرالمؤمنين واول من دفع القضاء الى غيره وقد كان ابو بكر رضي الله عنه يباشره في نفسه لانه منصب عظيم وهو الفاصل بين الناس حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع حسب الاحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة اذ كان ذلك من وظائف الخلافة ومندرجاً في عمومهاثم رأي عمر رضي الله عنه بان يحيله الى غيره وان كان من وظيفته لقيامه بالسياسة العامة وكثرة اشغاله في الجهاد والفتوحات وسد الثغور ولم يكن من يقوم بذلك غيره فولى على قضاء المدينة ابا الدرداء وولى شريحاً بالبصرة وولى ابا موسى الاشعري بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور وهو اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدى اليك فانه لا ينفع التكلم بحق لانفاذ له وواس بين الناس في مجلسك ووجهك وعدلك حتى لا يطمع الشريف في حيفك ولا ييأس الضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراماً او حرم حلالاً ولا يمنعك قضاء قضيته امس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق فيه قديم ومراجعة

الحق خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولاسنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور بنظائرها واجعل لمن ادعي حقاً غائباً او بينة امدا ينتهى اليه فان احضر بينته اخذت له بحقه والا استحللت القضية عليه فان ذلك انفى للشك واجلى للعماء المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدوداً في حد او مجربا عليه شهادة زور او مجهولاً في نسب اوولاء فان الله سبحانه عفا عن الايمان ودرأ بالبينات واياك والقلق والضجر والتأفف بالخصوم فان استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذكر والسلام

ولما ولي رضي الله عنه تكلم الناس في شدته وخافوا من سطوته وهيبته فوصل خبرهم اليه فجمعهم الى المسجد وصعد على المنبر فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال بلغني ان الناس قد هابوا شدتي وخافوا غلظتي وقالوا لقد كان عمر شديداً علينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا ثم زادت شدته وابو بكر رضي الله عنه والينا دونه فكيف الان وقد صارت الامور بيده ولعمري من قال ذلك فقد صدق كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت عبده وخادمه حتى قبضه الله عز وجل وهو عني راض والحمد لله وانا اسعد الناس بذلك ثم ولي امر الناس ابو بكر رضي الله عنه فكنت خادمه وعونه اخلط شدتي بلينه واكون سيفاً مسلولاً حتى يغمدني او يدعني فما زلت معه كذلك حتى قبضه الله عز وجل وهو عني راض والحمد لله وانا اسعد الناس بذلك ثم اني وليت اموركم فاعلموا ان تلك الشدة قد تضاعفت ولكنها انما تكون على اهل البغي والتعدي واما اهل السلامة والدين والقصد فانا الين من بعضهم لبعض ولست ادع احداً يظلم احداً و يتعدى عليه حتى اضع خده على الارض واضع رجلي على الخد الاخر حتى يذعن للحق ولكم علي يا ايها الناس ان لا اخبأ عنكم شيأ من خراجكم واذا وقع عندي احد لا

يخرج الا بحقه ولكم عليَّ ان لا القيكم في المهالك واذا غبتم في البعوث فانا ابو العيال حتى ترجعوا فان وفيت لكم بذلك فاعينوني وان رايتم فيَّ اعوجاجاً فقوموني اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم قال سعيد بن المسيب وفى والله عمر رضي الله عنه فقد كان ينفرد عن الناس ليتعرف اخبار رعيته فمر بعجوز في خبائها فقصدها فقالت يا هذا ما فعل عمر هل اقبل من الشام سالماً فقال لها نعم اقبل سالماً فقالت لا جزاه الله عني خيراً فقال لها ولم ذلك قالت لانه والله ما نالني من عطائه منذ ولي امر المؤمنين دينار ولا درهم فقال وما يدري عمر بحالك وانت في هذا الموضع فقالت سبحان الله هل احد يلي امر الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها فبكي عمر رضي الله عنه وقال واو يلاه كل احد افقه منك يا عمر حتى العجائز ثم قال لها يا امة الله بكم تبيعيني ظلامتك من عمر فاني ارحمه من النار فقالت له لا تهزأ بنا يرحمك الله فقال لها والله لست بهزاء فما زال بها حتى اشترى منها ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً فبينما هو كذلك اذ اقبل علي بن ابي طالب وابن مسعود فطلب منهما رقعة يكتب فيها فلم يجد فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي الى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين دينار فما تدعي عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى فعمر منه بريء شهد علي بن ابي طالب وابن مسعود ثم دفع الكتاب الى ولده وقال اذا انا مت فاجعله في كفني القى به ربي واخباره رضي الله عنه في مثل ذلك كثيرة جداً ولما طعن رضي الله عنه استخلف عبد الرحمن يصلي بالناس وحمل الى بيته فأسرع عبد الرحمن في الصلاة ثم دعاه اليه فقال له اني اريد ان اعهد اليك فقال او تشير عليَّ بها فقال لا فقال والله لا افعل فقال بعض من حضر لو عهدت الى عبد الله (يعني ابنه) فانه لذلك اهل في دينه وفضله وقديم اسلامه فقال بحسب آل الخطاب رجل

منهم يحاسب عن الامة ولوددت اني نجوت من هذا الامر كفافاً لا لي ولا علي ثم كلموه مرة اخرى فابى فجعل رضي الله تعالى عنه الامر شورى بين الستة الذين توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص على ان يكون الخليفة واحداً منهم يتفقوا عليه فان اختلفوا فمن يتفق عليه اكثرهم وان اختلفوا يحكمون ابنه عبدالله بينهم وجعل عبدالله ابنه معهم لكن ليس له من الامر شيء

ثم لما توفي عمر رضي الله عنه وفرغوا من دفنه بجانب قبر النبي صلى الله عليه وسلم تفرغ اصحاب الشورى للاجتماع فلما اجتمعوا قال عبد الرحمن ابن عوف اجعلوا امركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير جعلت امري الى علي وقال سعد جعلت امري الى عبد الرحمن بن عوف وقال طلحة جعلت امري الى عثمان ثم خلا هؤلاء الثلاثة فقط وهم عبد الرحمن وعلي وعثمان فقال عبد الرحمن انا لا اريد الخلافة ثم خاطب كل واحد منهما بما فيه من الفضل واخذ عليه العهد والميثاق لئن ولاه ليعدلن وان ولي عليه ليسمعن وليطيعن فقال كل واحد منهما نعم ثم خلا بعلي فقال أرايت ان لم اولك فمن الذي تشير علي بتوليته فقال عثمان ثم خلا بعثمان وقال له ان لم اولك فمن الذي تشير علي بتوليته فقال علي . ثم تفرقوا ومكث عبد الرحمن ثلاث ليال يستشير الناس فيمن يوليه ويجتمع بالامراء والاشراف وغيرهم سراً وجهراً فلم يجد اثنين يختلفان في تقديم عثمان على علي وسببه ان عثمان كان طويل البال خفيف الوطأة فيه لين وعدم شدة وكان علي يشبه عمر بن الخطاب في الشدة ومضت مدة خلافة عمر والناس منقادون له يسيرون بسيرته وفتحت لهم الامصار وكثرت عندهم الاموال فصارت انفسهم ميالة الى اللين وعدم الشدة فلذلك استحسنوا عثمان ثم اقبل عبد الرحمن على علي وعثمان واخذ عليهما العهد والميثاق انه لو ولى واحداً منهما ليعدلن ولو ولي عليه ليسمعن

وليطيعن ثم جمع الناس بالمسجد فاجتمعوا ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا ايها الناس اني قد سألتكم سرًا وجهرًا مثنى وفرادى فلم اجد احدًا منكم يفرق بين هذين الشيخين بالعدالة وهما علي وعثمان واقر كل واحد منكم انهما سواء فقم اليّ يا علي فقام اليه ووقف تحت المنبر وقال له هل انت مبايعي على كتاب الله وسنة رسوله وفعل ابي بكر وعمر فقال علي نعم ثم قال لعثمان كذلك فقال له نعم قال فرفع عبد الرحمن راسه وقال اللهم اسمع واشهد (قالها ثلاث مرات) اللهم اني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان بن عفان و بايعه وازدحم الناس يبايعونه و بايعه علي اولا وهذا هو الثابت في ولاية عثمان كما حققه جمهور المحققين من اهل السنة رضوان الله عليهم اجمعين

﴿ ثالث الخلفاء الراشدين ﴾

هو سيدنا عثمان بن عفان بن عم المصطفى الاعلى يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف و يدعى بذي النورين لانه تزوج بابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما رقية و بعد وفاتها زوجه ام كلثوم

بويع له بالخلافة في اول يوم من سنة اربع وعشرين من الهجرة واول امر بدأ به بان عزل المغيرة بن شعبة عن ولاية الكوفة وولي بها سعد بن ابي وقاص عملا بقول عمر اني اوصي الخليفة بعدي بأن يستعمل سعدًا فاني لم اعزله عن سوء ولا خيانة فكان اول عامل بعثه عثمان

وقد جرى في ايام عثمان رضي الله عنه فتوحات كثيرة كقبرص وسواحل الروم و بلاد العجم وغير ذلك وفي ايامه عمرت المدينة وصارت وافرة الانعام وقبة الاسلام وكثر فيها الخيرات والاموال وجبي اليها الخراج من كافة الاقطار فقام احد المنافقين وهو رجل يقال له عبدالله ابن سبأ يعرف بابن السوداء كان من يهود العراق نافق واظهر الاسلام

لايقاع الفتن بين الامة فلما عرفه اهل البصرة طردوه فذهب الى الكوفة وطردوه ثم الى الشام فطردوه فذهب الى مصر مستخفياً فاستوطنها وكثرت جماعته هناك وكان يكثر الطعن على عثمان و بني امية و يدعو الناس لاهل البيت وما مراده الا شق عصا الاسلام لانه قد وجد ان الناقمين في الباطن على عثمان كثيرون حيث كان يقدم اقاربه و يوليهم الولايات الجليلة فكان يدخل بالناس قاتله الله من هذا الباب وهو الذي اسس مذهب اهل الشيعة وكان الناس من قبل لا يعرفون هذا المذهب فاستمال اليه جهال الناس وكاتبوا بعضهم بعضاً في الامصار واختلقوا على عثمان رضي الله عنه اموراً كلها كذب وافتراء فقد جعلوها طعنا فيه وهو من جميعها بريء فمنها انهم قالوا انه زوج ابنه بابنة الحارث بن الحكم واعطاه مائة الف من بيت المال وقالوا ايضاً انكح ابنته من مروان واعطاه مائة الف من بيت المال وهذا كله زور و بهتان وعلى فرض انه اعطاهما فيكون من ماله الخاص لانه كان غنياً مشهوراً بالغنى قبل الخلافة وقالوا انه اعطى الحارث بن الحكم عشور اسواق المدينة وهذا لا يصح لانه جعل الحارث المذكور محتسباً على السوق ليحافظ عليه كي لا يقع فيه التطفيف والخيانة والجور في الموازين فقام بالامر يومين او ثلاثة فاشتكى اهل المدينة منه فعزله عثمان فوراً ووبخه واي عيب يعود على عثمان رضي الله عنه اذا لم نقل انه عين الانصاف فان عزله على الفور بمجرد سماع الشكاية مع قرابته له تدل على نزاهة عثمان وطهارته رضي الله عنه

وعابوا عليه ايضاً بتوليته بعض اقاربه ولايات كثيرة فهذا ايضاً كان منه باجتهاد وحكمة وطلبا لاظهار العدل لانه رضي الله عنه رآى ان اقاربه يعينونه على اظهار العدل واقامة الحق

ثم كتب رؤساء هذه الفتنة الى جماعتهم في الاقطار ليستحضروهم في المدينة فحضر من اهل مصر نحو خمسمائة ومن الكوفة والبصرة كذلك

ودخلوا المدينة واقترح المصريون على عثمان بان يعزل عبدالله بن سرح ويولي عليهم محمد بن ابي بكر فاجابهم الى ذلك وولاه وافترق كل الى بلده فبينما المصريون في طريقهم اذ وجدوا رجلاً علي نجيب عثمان ومعه كتاب مختوم بختم عثمان مصطنع على لسانه وفيه من عثمان الى عبدالله بن ابي سرح اما بعد اذا قدم عليك محمد بن ابي بكر ومعه فلان وفلان فاقطع ايديهم وارجلهم وارفعهم على جذوع النخل فرجع المصريون والكوفيون والبصريون لما ان بلغهم ذلك واخبروه الخبر فحلف لهم عثمان انه ما فعل ذلك ولا امر به فقالوا هذا اشد عليك يؤخذ خاتمك ونجيب من ابلك وانت لا تعلم فما هو والله الا مغلوب على امرك فسألوه ان يعتزل عن الخلافة فابى لحديث سمعه من رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال له ان الله مقمصك بقميص من الجنة فاذا ارادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتي تلقاني فصبر رضي الله عنه

فاجمعوا على حصاره فحاصروه في داره ولما اشتد الحصار بعثمان رضي الله عنه جاءه علي وابناه الحسن والحسين وعبدالله ابن عمر وجماعة من المهاجرين والانصار فحملوا على الناس وفرقوهم عن الدار ثم دخلوا على عثمان فسلم علي عليه وقال له ان رسول الله لم يلحق هذا الامر حتى ضرب بالمقبل المدبر واني ارى القوم قاتليك فمرنا فلنقاتل فلم يقبل معه فاعاد عليه ثانياً فابى ومنعه عن القتال وانشده بالله ان لا يفعل فخرج علي من باب داره وقال اللهم انك تعلم انا بذلنا المجهود ثم لما غاب علي ومن معه اقتحموا على عثمان بداره وقتلوه رضي الله عنه وذلك في يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ودفن يوم السبت قبل الظهر وعمره ثمانون سنة ومدة خلافته اثنتي عشرة سنة وقد كان رضي الله تعالى عنه حليماً وقوراً مهاباً معظماً محترماً غنياً شاكراً كريماً وكان يطعم الفقراء طعام الامراء ويأكل الخل والزيت وكان ذا شفقة عظيمة ورأفة على رعيته

ولما ولي زادت شفقته ورأفته وزاد تواضعه ولما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجهز جيش العسرة فجهزه من ماله وبعث اليه عشرة الاف دينار وتسعمائة وخمسين بعيرًا باقتابها واحلاسها وخمسين فرسًا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما هو كائن الى يوم القيمة

وكان رضي الله عنه كثير الانفاق في نهاية الجود والسماحة والبذل للقريب والبعيد وانزل الله فيه (الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منًّا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وفيه انزل الله تعالى (امن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) وقوله تعالى (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) وقد وردت عدة احاديث تدل على كثرة فضله وعدالته رضي الله تعالى عنه

✵ رابع الخلفاء الراشدين ✵

هو فارس المشارق والمغارب امير المؤمنين علي بن ابي طالب فانه بعد قتل عثمان اتى الناس اليه وقالوا له لا بد للناس من خليفة ولا نعلم احدًا أحق بها منك فردهم عن ذلك فابوا فقال لهم ان ابيتم الا بيعتي فان بيعتي لا تكون الا جهرًا فاتوا المسجد واحضروه و بايعوه وتخلف عن بيعته جماعة فلم يكرههم وقال قومٌ قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل وهناك قصة طويلة مشهورة وفتنة عظيمة هائلة وهي اول وهن و بلاء نزل على هذه الامة (ليقضي الله امرًا كان مفعولاً) واعلم ان هذا القتال الذي جرى بينهم هو اختلاف نشأ عن اجتهاد من الفريقين في الادلة الصحيحة والمدارك المعتبرة والمجتهدون اذا اختلفوا فاذا قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ومن لم يصادفه فهو مخطيء فان جهته لا تتعين بالاجماع

فيبقى الكل على احتمال الأصابة (والتأثيم مدفوع عن الكل اجماعاً) واذا قلنا ان الكل حق فيكون احرى بنفي الخطاء والتأثيم فهذه الواقعة التي جرت بين سيدنا علي وسيدنا معاوية رضي عنهما فان الناس كانوا عند مقتل عثمان متفرقين في الامصار فلم يشهدوا بيعة علي والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس و يتفقوا على امام والذين توقفوا كانوا من اكابر الصحابة كسعد وسعيدوابن عمر وعبدالله بن مالك وحسان ابن ثابت وغيرهم والذين كانوا في الامصار عدلوا عن بيعته ايضاً الى الطلب بدم عثمان وتركوا الامر فوضى حتى يكون شوري بين المسلمين لمن يولونه وظنوا بعلي انه رضي بقتل عثمان لسكوته عن نصرته وحاشاه من ذلك ولقد كان معاوية اذا وجه الملامة على علي تكون على سكوته فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فراي علي ان بيعته قد انعقدت ولزمت من تاخر عنها باجماع من اجتمع عليها بالمدينة واخر الامر في المطالبة بدم عثمان الى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيتمكن حينئذ من ذلك وهذا هو الصحيح وعليه الحق ورأى الاخرون ان بيعته لم تنعقد لافتراق اهل الحل والعقد بالآفاق ولم يحضر الا القليل ولا تكون البيعة الا باتفاق اهل الحل والعقد فذهب هذا المذهب ايضاً جماعة من كبار الصحابة كمعاوية وعمرو بن العاص وعائشة والزبير وابنه عبدالله وطلحة وسعد وسعيد والنعمان بن بشير وغيرهم من اجلاء الصحابة واذا نظرت بعين الانصاف عذرتهم اجمعين في شان هذا الاختلاف وعلمت انها كانت فتنة قد ابتلي الله بها المسلمين قد نشأت من جماعة من العرب الذين نزلوا عليهم ودخلوا في الدين وقد وجدوه ثقيلاً على اطباعهم الغليظة لانهم جفاة عراة قد تمكنت منهم الوحشية والهمجية لانهم لم يستكثروا من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ولا هذبتهم سيرته وادابه ولا ارتاضوا بخلقه العظيم فبقوا على ما هم عليه في الجاهلية من الجفاء والعصبية والتفاخر والبعد عن سكينة الايمان فغصوا

بذلك وتنكدت عيشتهم وكانوا يرون العجز عن مصادمة تلك الاسود فاغتنموا الفرصة في تفريق الكلمة لتعود اليهم عصبيتهم كما كانت والتفاخر بانسابهم فاوقدوا نيران هذه الفتنة

واما وقعة الحسين رضي الله عنه مع يزيد فانه قد شاع فسق يزيد عند الكافة وبارسال اهل الكوفة في طلب الحسين وشكواهم له فرأى الحسين رضي الله عنه ان الخروج على يزيد متعين لفسقه وظن ان له مقدرة على ذلك باهليته وشوكته فاما الاهلية فكان كما ظن وزيادة واما الشوكة فقد غلط رحمه الله الا انه لم يضره الغلط (وهذا الحكم الشرعي) وهو رضي الله عنه شهيد مثابٌ ويزيد كان مخطئًا فاسقًا واما وقعة عبد الملك ابن مروان وابن الزبير فان ابن الزبير كان اعظم الناس عدالة وناهيك بعدالته واحتجاج الامام مالك في قوله وعدول ابن عباس وابن عمر الى بيعته وهم معه بالحجاز مع ان الكثير من الصحابة كانوا يرون ان بيعة ابن الزبير لم تنعقد لعدم اجتماع اهل الحل والعقد كبيعة مروان لحضور اهل الحل والعقد فيها والكل مجتهدون محمولون على الحق والقتل الذي نزل بعد هذا التقريب هو على قواعد الفقه وقوانينه وكل منهم شهيد مثاب باعتبار قصده وتحريه الحق هذا الذي نعتقده وندين الله به لانهم خيار الامة وهم اولى الناس بحسن الظن وما اختلفوا الا عن بينة وما قاتلوا او قتلوا الا في سبيل جهاد او اظهار حق واستمر الحال حتى استشهد علي رضي الله عنه وسبب ذلك انه قد اجتمع ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي وعمرو بن بكير التميمي والبرك بن عبد الله التميمي واسمه الحجاج فتذاكروا في شأن المقتولين بالنهروان وقالوا والله لو قتلنا ائمة الضلال الثلاثة لارحنا العباد منهم فتعهد ابن ملجم بقتل علي وتعهد البرك بقتل معاوية وتعهد عمرو بن بكير بقتل عمرو بن العاص واتخذوا سيوفًا مسمومة وضربوا بينهم موعدًا فوثب

ابن ملجم وقد خرج علي رضي الله عنه الى صلاة الصبح فضربه بالسيف في جبهته فمسكوه واحضروه مكتوفًا بين يدي علي رضي الله عنه فقال يا عدو الله ما حملك على هذا قال شحذته اربعين صباحًا لقتلك فقال اراك مقتولاً به ثم قال علي رضي الله عنه ان هلكت فاقتلوه وان بقيت رأيت فيه رأيي يا بني عبد المطلب لا تحرضوا عليّ دماء المسلمين وتقولون قتل امير المؤمنين لا تقتلوا الا قاتلي واما البرك بن عبد الله فانه وثب على معاوية في تلك الليلة فضربه بالسيف فوقع في ليته فمسكوه واحضروه لمعاوية فقال له اني ابشرك فلا تقتلني فقال بماذا فقال ان رفيقي قتل عليا هذه الساعة فغضب معاوية وقتله فمن ذلك اتخذ معاوية المقصورة وحرس الليل وقيام الشرط عليه اذا سجد واما ثالث القوم الذي ذهب لقتل عمرو بن العاص فترقب عمرو ليخرج للصلاة فلم يخرج تلك الليلة وامر خارجة بن ابي حبيب ان يصلي بالناس فخرج فضربه عمرو فقتله بظنه انه عمرو بن العاص فاخذوه الى عمرو بن العاص فساله من انت قال عمرو بن العاص قال ومن الذي قتلته قال خارجة فقال اردت عمرًا فاراد الله خارجة ثم امر عمرو بقتله فقتل

توفي امير المؤمنين علي بن ابي طالب في اليوم الحادي عشر من شهر رمضان سنة اربعين من الهجرة وتولى غسله الحسن والحسين وعبد الله ابن جعفر وصلى عليه الحسن رضي الله عنه ودفن سحرًا واختلف في موضع قبره فقيل بجنب مسجد الكوفة من جهة القبلة وقيل عند قصر الامارة وقيل بالنجف والصحيح انهم اخفوا قبره الشريف خوفًا عليه من الخوارج واولاده رضي الله عنه الحسن والحسين ومحسن وهذا مات صغيرًا وزينب وام كلثوم تزوجها عمر بن الخطاب من ابيها ليتبرك بنسب النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الخمسة من فاطمة الزهرا بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وله اولاد من غيرها فجملة الذكور من اولاده اربعة عشر ولم يعقب

منهم الا خمسة وهم الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس وعمر رضي الله تعالى عنهم اجمعين

﴿ خامس الخلفاء الراشدين ﴾

هو ابو محمد الحسن بن الامام علي رضي الله تعالى عنهما سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته كان رضي الله عنه عاقلاً زكياً لبيباً شجاعاً صبوراً حج عدة مرات ماشياً ونجائبه تنقاد بين يديه بويع له بالخلافة بعد وفاة والده ثم سار الى المدائن واستقر بها اذ نادى مناد ان قيساً قد قتل فانفروا وكان الحسن رضي الله عنه قد جعله على مقدمة الجيش وهو قيس ابن سعد بن عبادة رضي الله عنهم فحصل اضطراب وهيجان عظيم حتى جاؤا الى خيام الحسن ونهبوا ما حوله وهجم عليه رجل من الخوارج يقال له الجراح الاسدى فدفعه بالخنجر في فخذه ومراده قتله فقال لهم الحسن رضي الله عنه قتلتم ابي بالامس ووثبتم عليَّ اليوم تريدون قتلي والله لتعلمن نبأه بعد حين ثم انه كتب لمعاوية بانه ينزل له عن الامر على ان يعطيه ما في بيت المال بالكوفة وان يعطيه خراج الجرد من فارس وان يكون ولي العهد من بعده وان لا يطالب احداً من اهل المدينة والحجاز والعراق بشيء من دم عثمان مما كان في ايام ابيه علي رضوان الله عليه فقبل معاوية بهذه الشروط ثم حضر للكوفة وبايعه الناس ودخل معاوية والحسن الكوفة وتصالحا فسمي هذا العام عام الجماعة لاجتماع الامة بعد الفرقة على خليفة واحد ثم ان الحسن قام خطيباً بعد ان جمع الناس في المسجد وحمد الله واثنى عليه ثم قال (اما بعد) فان اكيس الكيس التقي واحمق الحمق الفجور وان هذا الامر الذي اختلفت انا ومعاوية فيه ان كان له فهو احق به مني وان كان لي فقد تركته له لاجل اصلاح الامة وحقن دماء المسلمين (وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) ثم رجع الى

المدينة في اهله وعياله وحشمه فخرج اهل الكوفة لوداعه واقام في المدينة فعوتب على ذلك فقال رضي الله عنه اخترت ثلاثاً على ثلاث الجماعة على الفرقة وحقن الدماء على سفكها والعار على النار وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو ذات يوم على المنبر والحسن الى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه اخرى و يقول(ان ابني هذا سيد ولعل الله انه يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) فظهرت معجزة النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الاشارة و بقوله الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوداً فكان من خلافة ابي بكر الى يوم تنزل الحسن عن الخلافة ثلاثين سنة

ولم يزل الحسن رضي الله عنه مقيماً بالمدينة الى ان توفي بها سنة تسع واربعين وصلى عليه سعيد بن العاص ودفن في البقيع في قبر في قبة العباس ودفن في هذا القبر ايضاً علي زين العابدين وابنه محمد الباقر وابن ابنه جعفر بن محمد الصادق فهم اربعة في قبر واحد فاكرم به من قبر وكانت خلافته ستة اشهر وخمسة ايام وعمره سبع واربعون سنة رضي الله تعالى عنه

﴿ خلافة معاوية بن ابي سفيان ﴾

ثم استقل بالامر معاوية بن ابي سفيان رضي الله تعالى عنه فاستقام له الملك وصفت له الخلافة و بعث نوابه الى البلاد وكان قبل خلافته عاملاً على الشام عشرين سنة وذلك بقية خلافة عمر وخلافة عثمان رضي الله تعالى عنهم

ثم ان معاوية جهز الجيوش وارسل جيشاً الى الروم وجعل عليهم سليمان بن عوف الازدى فدوخ البلاد واوغل في تلك الارض فانتهى الى لواته ومزانه فقتل وسبي ثم توغل ايضاً حتى بلغ الى القسطنطينية

وفيهـا استشهد ابو ايوب الانصاري ودفن بالقرب من سورها وقد استعمل ابن عامر على ولاية البصرة وجعل اليه ولاية خراسان واستعمل ايضاً عقبة بن نافع الفهدي على افريقية وعقبة له في هذه البلاد فتوحات كثيرة فلما استعمله معاوية سير اليه عشرة الاف فارس فدخل افريقية وانضاف اليه من اسلم من البربر فكثر جمعه ووضع السيف في اهل تلك البلاد لأنهم كانوا اذا دخل عليهم امير اطاعوا واظهر بعضهم الاسلام فاذا عاد الامير نكثوا وارتد من اسلم فراي عقبة ان يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين واهلهم واموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من اهل البلاد فقصد موضع القيروان وكانت هذه الاراضي وعرة المسالك وفيها شيء كثير من انواع الحيوانات والسباع والحيات فدعا الله تعالى وكان مستجاب الدعوة ومن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نادى ايتها الحيات والسباع انا اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ارحلوا عنا فانا نازلون هنا ومن وجدناه بعد ذلك اليوم قتلناه فنظر الناس ذلك اليوم الى الدواب والحيات تحمل اولادها وتنسل وراى ذلك كثير من قبائل البربر فاسلموا عن اخلاص وقطعوا الاشجار وامر ببناء المدينة فبنيت وبني الناس مساكنهم ومساجدهم ودخل كثير من البربر في الاسلام واتسعت خطة المسلمين وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان فآمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها

توفي معاوية بن ابي سفيان بدمشق الشام في اوائل رجب سنة ستين من الهجرة وصلى عليه الضحاك الفهدي واختلف في عمره والصحيح انه ثمانون سنة وكانت خلافته منذ خلص له الامر تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر وخمسة ايام

وقـد كان رضي الله عنه مليح الشكل وافر الهيبة عظيم الوقار يلبس الثياب الفاخرة والعدة الكاملة والخيل المسومة كثير البذل والعطا محسناً الى رعيته كبير الشان يجتمع مع الرسول صلى الله عليه وسلم في

عبد مناف بن قصي و ينسب الى امية بن عبد شمس فيقال له الاموي وهو اول من اتخذ المقاصير واقام الحرس والحجاب واول من مشي بين يديه صاحب الشرطة بالحربة واول من تنعم في مطعمه ومشربه وملبسه ولما نقل زوجته ميسون من البدو الى الشام وهيأ لها قصرًا عظيماً وزينه بانواع الزخارف ووضع فيه من انواع الفضة والذهب ما يضاهيه ونقل اليه من الديباج الرومي الملون ماهو لائق فيه ثم اسكنها مع وصائف لها كالحور العين فلبست يوماً افخر ثيابها وتطيبت وتزينت بما اعد لها من الحلي والجوهر الذي لا يوجد مثله ثم جلست في روشنها وسمعت تغاريد الاطيار في اوكارها وشمت نسيم الازهار وروائح الرياحين والنوار فتذكرت نجدا وحنت الى اترابها واناسها وتذكرت مسقط راسها فبكت وتنهدت فقال لها بعض حظاياها ما يبكيك وانت في ملك يضاهي ملك بلقيس فتنفست تنفس الصعداء ثم انشدت

لبيت تخفق الارواح فيه ... احب اليّ من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني ... احب اليّ من لبس الشفوف
واكل كسيرة في قلب بيتي ... احب اليّ من اكل الرغيف
واصوات الرياح بكل فج ... احب اليّ من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دوني ... احب اليّ من قط الوف
وخرق من بني عمي نحيف ... احب اليّ من علج عنوف

فلما سمع معاوية هذه الابيات فقال ما رضيت ابنة بجدل حتى جعلتني علجاً عنوفاً هي طالق ثم سيرها الى ابيها بنجد وكانت حاملاً بيزيد فولدته بالبادية وارضعته سنتين ثم اخذه معاوية رضي الله عنه منها بعد ذلك وكان رضي الله تعالى عنه حليماً وله في الحلم اخبار كثيرة ولما حضرته الوفاة جمع اهله فقال الستم اهلي قالوا بلى فقال وعليكم حزني واكم كسبي وكدي قالوا بلى فقال فهذه روحي خرجت من قدمي فردوها عليّ ان

استطعتم فبكوا وقالوا والله ما لنا الى هذا من سبيل فرفع صوته بالبكا ثم قال فمن تغره الدنيا بعدي وذكر بعض المؤرخين انه لما حضرته الوفاة وتحدث الناس بثقل مرضه فقال لاهله احشوا عيوني اثمدا واصبغوا رأسي دهنا ففعلوا وبرقوا وجهه بالدهن ثم مهدوا له مجلساً واسندوه واذنوا للناس بالدخول عليه فدخلوا وسلموا عليه قياماً فلما خرجوا من عنده انشد قائلاً

وتجلدى للشامتين اريهم   اني لريب الدهر لا اتضعضع

فاجابه رجل من العلويين

واذا المنية انشبت اظفارها   الفيت كل تميمة لا تنفع

ثم مات رحمه الله

﴿ خلافة يزيد بن معاوية ﴾

بويع له بالخلافة يوم موت ابيه وقد كان عهد اليه قبل موته وكتب الى البلاد فبايعوه ولم يبايعه الحسين ولا عبدالله بن الزبير ولما ان بلغ الخبر لاهل الكوفة بموت معاوية وخلافة يزيد كتبوا الى الحسين عليه السلام يدعونه ليبايعوه فكتب لهم جواباً مع رسولهم وارسل معه ابن عمه مسلم بن عقيل وبوصوله اليهم اجتمع الشيعة عليه واخذ العهد والميثاق بان يبايعوا حسيناً وان ينصروه ويحموه ولما اراد عليه السلام المسير الى العراق نهاه اهل الدراية كابن عباس وابن عمر وغيرهما وحذروه من غدر اهل العراق وذكروه بما فعلوا مع ابيه فلم يرجع ولم ينثنه (وكان امر الله قدراً مقدوراً) فتوجه ووصل الخبر الى يزيد فارسل عبيد الله بن زياد وامره بقتال الحسين فدخل ابن زياد الكوفة قبل الحسين فظفر بمسلم ابن عقيل ابن عم الحسين الذي قد ارسله مع الرسول فقتله وارسل جيشاً لملاقاة الحسين وامر عليهم عمر بن سعد وكان الحسين وصل الى كربلا وحط اثقاله في ذلك المكان ولم يجد احداً ممن كاتبه من اهل العراق ولما

التقى الحسين مع عمر بن سعد فقال الحسين لعمر بن سعد ومن معه اختاروا مني واحدة من ثلاث اما ان تدعوني فالحق بالثغور او اذهب الى يزيد او انصرف حيث جئت فقبل منه ذلك عمر بن سعد ولم يقبل ابن زياد (قاتله الله) فلما اصبح الصباح وكان يوم عاشوراء تهيأ عمر بن سعد ومن معه وتهيأ الحسين ومن معه ولم يكن معه الا اثنان وثلاثون فارساً واربعون راجلاً والتحم القتال واشتد الامر فانهزم اصحاب الحسين وقتل اكثرهم وفيهم بضعة عشر شاباً من اهل البيت وهو رضي الله عنه يدافع عن نفسه ويمانع فادركه شمر بن ذي الجوشن بالرمح فوقع على الارض ودفعه الى خول الاصبحي فاحتز راسه ثم ان عبيد الله بن زياد جهز علياً ابنه والحريم والذراري واخذوا الرأس الشريف وهم بحالة تقشعر منها الابدان وترتعد منها الفرائص واخذوا الجميع الى يزيد بن معاوية وهو يومئذ بدمشق فساروا الى ان وصلوا الى دير في الطريق فنزلوا ليقيلوا به فوجدوا مكتوباً على بعض جدرانه

اترجو امة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

ولما دخلوا على يزيد بن معاوية ومعهم راس الحسين رضي الله تعالى عنه فرمي به بين يدي يزيد ثم تكلم شمر بن ذي الجوشن فقال يا امير المؤمنين ورد علينا الحسين في ثمانية عشر رجلاً من اهل بيته وستين رجلاً من شيعته فسرنا اليهم وسألناهم النزول على حكم اميرنا عبيد الله ابن زياد فابوا الا القتال فطلعنا عليهم عند شروق الشمس واحطنا بهم من كل جانب فلما اخذت السيوف مأخذها جعلوا يلوذون لوذان الحمام من الصقور فما كان الا مقدار نومة قائل حتى اتيناهم عن اخرهم فدونك اجسادهم مجردة وثيابهم مزملة وخدودهم مصعرة فلما سمع يزيد ذلك ونظر الى راس الحسين دمعت عيناه وقال ويحكم قد كنت ارضي من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن مرجانة اما والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه ثم قال يرحم

الله ابا عبدالله ثم امر بالذرية فادخلوا دار نسائه وكان يزيد اذا حضر غذائه دعا علي بن الحسين وعمر بن الحسين فاكلا معه ثم وجه الذرية صحبة علي بن الحسين الى المدينة ووجه معه ثلاثين فارساً يسيرون امامهم حتى انتهوا الى المدينة وكان بين وفاة النبي صلى الله عليه وسلم و بين اليوم الذي قتل فيه الحسين خمسون عاماً وفي هذه السنة قام عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما وادعى الخلافة بمبايعة اهل مكة والمدينة وجميع الحجاز وتهامه والعراق ونقضوا بيعة يزيد لانه انشغل بشرب الخمر واللعب بالكلاب والتهاون بالدين فلما بلغ يزيد ذلك ندب اليه الحصين بن نمير وروح بن زنباع الجذامى وضم الى كل واحد جيشاً عظيماً واستعمل على الجميع مسلم بن عقبة المري وجعله امير الامراء فلما ودعهم قال يا مسلم لا تردن اهل الشام عن شيء يريدونه بعدوهم واجعل طريقك على المدينة فان حاربوك فحاربهم فان ظفرت بهم فابحها ثلاثاً فسار مسلم ابن عقبة حتى نزل الحرة وخرج اهل المدينة فعسكروا بها واميرهم عبدالله ابن حنظلة فدعاهم مسلم ثلاثاً فلم يجيبوه فقاتلهم وغلب اهل الشام وقتلوا امير المدينة وسبعمائة من المهاجرين والانصار ودخل مسلم المدينة واباحها ثلاثة ايام وقد جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم (انه قال من اباح حرمي فقد حل عليه غضبي) ثم ذهب بالجيش الى مكة وكتب الى يزيد بما صنع بالمدينة فلما وصل مسلم الى هرشي وهو مكان بين مكة والمدينة نزل به علة فمات وتولى امر الجيش الحصين بن نمير فسار حتى وصل مكة فتحصن منه ابن الزبير رضي الله عنه بالمسجد الحرام بجميع من كان معه فنصب الحصين المنجنيق على ابي قبيس ورمي به الكعبة المعظمة فبينما هو كذلك اذ ورد الخبر اليه بموت يزيد بن معاوية فارسل الى ابن الزبير يسأله الموادعة فاجابه الى ذلك وفتح الابواب واختلط العسكران يطوفان بالبيت فبينما الحصين يطوف ليلة بعد العشاء اذ

استقبله ابن الزبير فاخذ الحصين بيده وقال له سرًا هل لك في الخروج معي الى الشام فادعوا الناس الى بيعتك فان امرهم قد مرج ولا ادرى احدًا احق بها اليوم منك فاجتذب الزبير يده من يده وقال له وهو يجهر بقوله دون ان اقتل بكل واحد من اهل الحجاز عشرة من اهل الشام فقال الحصين لقد كذب الذي يزعم انك من دهاة العرب اكلمك سرًا فتكلمني علانية وادعوك الى الخلافة فتدعوني للحرب ثم انصرف بمن معه الى الشام

توفي يزيد بذات الجنب ودفن بمقبرة باب الصغير بالشام وعمره سبع وثلاثون سنة وخلافته ثلاث سنين وتسعة اشهر

وقد سئل الامام الغزالي رحمه الله عمن يصرح بلعن يزيد بن معاوية هل يحكم بفسقه ام يكون لعنه مرخصاً فيه وهل كان يزيد يريد قتل الحسين ام كان قصده الدفع وهل يسوغ الترحم عليه ام السكوت عنه افضل (فاجاب رحمه الله) لا يجوز لعن المسلم وقد ورد النهي عن ذلك وحرمة المسلم اعظم من حرمة الكعبة بنص من النبي صلى الله عليه وسلم و يزيد هو مسلم قطعاً وما صح قتله للحسين رضي الله عنه ولا رضاه بذلك ولا امره به ومهما لم يصح ذلك عنه لم يجز ان يظن ذلك به فان اساءة الظن بالمسلم حرام قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن ان بعض الظن اثم) وقال صلى الله عليه وسلم (ان الله حرم من المسلم دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السؤ) ومن اراد ان يعلم حقيقة من الذي امر بقتله فلم يقدر على ذلك واذا لم يعلم وجب احسان الظن بكل مسلم يمكن احسان الظن به ومع هذا لو ثبت على مسلم انه قتل مسلماً فانه ليس بكافر والقتل ليس بكفر بل هو معصية فاذا مات القاتل فربما مات بعد التوبة والكافر لو تاب من كفره لم يجز لعنه فكيف من تاب من قبل ولم يعلم ان قاتل الحسين مات قبل التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده

فاذا لا يجوز لعن احد ممن مات من المسلمين ومن لعنه كان فاسقاً عاصياًلله عز وجل ولو جاز لعنه على الفرض والتقدير فسكت لم يكن عاصياً بالأجماع أرأيت ان من لم يلعن ابليس طول حياته هل يساله الله يوم القيمة و يقول له لم لم تلعن ابليس (كلا) واما الترحم على يزيد فجائز بل هو مستحب بل هو داخل في قولنا اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات فانه كان مؤمناً انتهى

﴿ خلافة معاوية بن يزيد ﴾

كان معاوية بن يزيد شاباً صالحاً تقياً طاهراً عاقلاً لبيباً بويع له بالخلافة يوم موت ابيه فأقام فيها اربعين يوماً ثم خلع نفسه بعدان جمع الناس في المسجد وصعد على المنبر فجلس طويلاً ثم حمدالله واثنى عليه بابلغ ما يكون من الحمد والثناء ثم ذكر النبي صلى عليه وسلم باحسن ما يذكر به ثم قال ايها الناس ما انا بالراغب في الائتمار عليكم لعظيم ما اكرهه منكم واني لأعلم انكم تكرهوننا ايضاً لاننا بلينا بكم و بليتم بنا الا ان جدي معاوية رضي الله عنه قد نازع في هذا الامر من هو اولى به منه ومن غيره لقرابته من رسول اللهوعظيم فضله وسابقته وهو عليّ رضي الله عنه كان اعظم المهاجرين قدراً واشجعهم قلباً واكثرهم علماً واولهم ايماناً واشرفهم منزلة واقدمهم مجداً ابن عم رسول الله وصهره واخوه زوجه ابنته فاطمة وهو ابو سبطيه سيدي شباب اهل الجنة فركب جدي معاوية معه ما تعلمون وركبتم معه ما لا تجهلون حتى انتظمت لجدي الامور فلما جائه القضاء المحتوم واخترمته ايدي المنون بقي مرتهناً بعمله فريداً في قبره ووجد ما قدمته يداه ورأى ما ارتكبه واعتداه ثم انتقلت الخلافة الى ابي يزيد فتقلد امركم ولقد كان بسوء فعله واسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة فركب هواه واستحسن خطاه فليت شعري ماذا قال وماذا قيل له هل عوقب باسائته وجوزي بافعاله وكذلك ظني به فبكى طويلاً ثم قال وانا

صرت ثالث القوم والساخط عليّ أكثر من الراضي وما كنت لأتحمل آثامكم ولا يراني الله جات قدرته متقلدًا اوزاركم والقاه بتبعاتكم فدونكم امركم فخذوه ومن رضيتم به عليكم فولوه فاني خلعت بيعتي من اعناقكم والسلام فقال له مروان بن الحكم وكان تحت المنبر أسنة عمرية يا ابا ليلى فقال اغد عني اعن ديني تخدعني فوالله ما ذقت حلاوة خلافتكم حتى اتجرع مرارتها ائتنى برجال كرجال عمر فوالله لئن كانت الخلافة مغنماً فقد نال ابي منها مغرماً ومأثماً وان كانت سوأً فحسبه منهـا ما اصابه ثم نزل فدخل عليه اقاربه وامه فوجدوه يبكي فقالت له امه ليتك كنت حيضة ولم اسمع بخبرك فقال وددت والله ذلك ويلي ان لم يرحمني ربي ثم مات رحمه الله بعد اربعين ليلة وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة ولم يعقب رحمة الله عليه

﴿ خلافة مروان بن الحكم ﴾

وكان يقال له ابن الطريد لان النبي صلى الله عليه وسلم طرد اباه الى الطائف فرده عثمان رضي الله عنه حين ولي وقد كان كاتب السر لعثمان رضي الله عنه وبسببه جرى ما جرى بويع له بالخلافة بعد ان خلع نفسه معاوية رحمه الله ومكث فيها عشرة اشهر ومات وكان عمره ثلاثا وثمانين سنة ومات في سنة خمس وستين

﴿ خلافة عبد الملك بن مروان ﴾

بويع له بالخلافة يوم موت ابيه مروان وهو اول من سمي بعبد الملك في الاسلام واول من ضرب الدراهم والدنانير وقد كان فقيهاً عالماً متضلعاً بالعلوم حازماً لا يكل امره الى سواه وقد جعل الحجاج والياً على العراق وكان الحجاج ظالماً جبارًا حصل منه ضرر كبير وله حكايات تقشعر من سماعها الأبدان وترتعد منها فرائص الانسان اجلها قتله لسعيد بن جبير رضي الله عنه فجزاه الله بما يستحق وتوفي عبد الملك في شوال سنة ست وثمانين

وعمره ستون سنة وخلف سبعة عشر ولداً ولي الخلافة منهم اربعة وكانت خلافته احدى وعشرين سنة رحمة الله تعالى عليه

خلافة الوليد بن عبد الملك

بويع للوليد بالخلافة يوم موت ابيه بعهد له منه ولم يدخل منزله حتى صعد المنبر فقال الحمد لله انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بأمير المومنين والحمد لله على ما انعم به علينا من الخلافة فانه مقام عظيم عند من يعرف قدره فيبذل النفس في اصلاح الامة وكان الوليد عند اهل الشام من افضل خلفائهم فقد بني بها المساجد واعطى الناس ورتب الرواتب للمجذومين واعطى لكل مقعد خادماً وعمل له راتباً مخصوصاً واعطى لكل اعمى قائداً وكان يبر حملة القرأن و يقضي عنهم ديونهم وشرع في بناء المسجد الأموي ولم يتم في ايامه فاتمه اخوه سليمان وهو الذي بني قبة الصخرة ببيت المقدس و بني المسجد النبوي ووسعه وله اثار حسنة كثيرة وفتحت في ايام خلافته الفتوحات العظام مثل السند والهند والاندلس وجرى بالاندلس حرب عظيم حتى استقامت هناك الامور وعلت كلمة الاسلام وصاروا يستلمون البلاد بلداً بلداً وحصناً حصناً بلا حرب ولا قتال وغنموا فيها غنائم كثيرة وما زالوا كذلك حتى وصلوا الى اواسط بلاد اوروبا وصارت جميع بلاد الاندلس و بلاد المغرب الي افريقيا بحكم المسلمين ثم اتسع نطاق دولة المسلمين بالاندلس وفي مدة خلافته ايضاً فتحت بلاد بخاري حتى وصلوا الى اقصى بلاد الصين وفي ايامه مات الحجاج واستراحت الناس من شره وتوفي الوليد بن عبد الملك في خامس عشر من جمادى الاخرة سنة ست وتسعين عن ست واربعين سنة من عمره وكانت مدة خلافته عشر سنين وترك اربعة عشر ولداً وتولى دفنه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

﴿ خلافة سليمان بن عبد الملك ﴾

بويع بالخلافة لسليمان بعد اخيه الوليد بعهد له من ابيه ايضاً لان اباهما عقد لهما جميعاً بالامر ومما يحكي من محاسنه رحمه الله ان رجلاً دخل عليه فقال يا امير المومنين انشدك الله والأذان فقال له سليمان اما قولك انشدك الله فقد عرفناه فما الأذان فقال قوله تعالى(فاذن موذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين) فقال له سليمان ما ظلامتك فقال له ان ضيعتي الفلانية غلبني عليها عاملك فلان فنزل سليمان رحمه الله عن سريره ورفع البساط ووضع خده على الارض وجعل يبكي وكتب الكتاب الى العامل وامره برد الضيعة وقد اطلق من سجن الحجاج ثلاثمائة الف وعزل آل الحجاج كلهم واتخذ عمر بن عبد العزيز وزيراً ومدبراً ومشيراً وكان سليمان رحمه الله فصيحاً بليغاً اديباً موثراً للعدل محباً للغزو محسناً لعلم العربية وفي اول امر بدأ به بان رد الصلاة الى ميقاتها وقال محمد بن سيرين ان سليمان رحمه الله افتتح خلافته بخير واختتمها بخير افتتحها باقامة الصلاة في اول وقتها واختتمها بعهده لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وتوفي سليمان في عاشر صفر سنة تسع وتسعين وعمره تسع وثلاثون سنة وكانت خلافته سنتين وثمانية اشهر رحمة الله تعالى عليه

﴿ خلافة عمر بن عبد العزيز ﴾

هو الخليفة الراشد والامام العابد التابعي الجليل والثقة النبيل خامس الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم اجمعين عمر بن عبد العزيز بن مروان ابن الحكم وامه ام عاصم بنت عمر بن الخطاب فعمر رضي الله عنه جده من قبل امه وقد بويع له بالخلافة يوم موت سليمان بن عبد الملك بعهد له منه وقد قيل انه لما ولي الخلافة سمع قائلاً يقول هذا البيت

من الآن قد طابت وقر قرارها ... على عمر المهدي قام عمودها

وفي اول خلافته صعد المنبر وحمد الله واثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ايها الناس اني قد ابتليت بهذا الامر من غير راي فيه ولا طلبة ولا مشورة من المسلمين واني قد خلعت ما في اعناقكم من بيعتي فاختاروا لانفسكم غيري فصاح الناس صيحة واحدة قد اخترناك يا امير المؤمنين ورضيناك باليمن والبركة فلما هدات حركتهم فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة واعملوا لاخرتكم فانه من عمل لاخرته كفاه الله امر دنياه واخرته واصلحوا سرائركم يصلح الله علانيتكم وانني والله لا اعطي احدًا باطلاً ولا امنع احدًا حقاً يا ايها الناس من اطاع الله وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له فاطيعوني ما اطعت الله فان عصيته فلا طاعة لي عليكم ثم نزل ودخل دار الخلافة فامر بالستور والبسط فرفعت وامر ببيع ذلك وادخال ثمنه في بيت المال ثم ذهب يتبوأ له مقيلاً يقيل به فاتاه ابنه عبد الملك فقال ما تريد ان تصنع يا ابتاه هل تقيل عن رد المظالم والمظلومون ينتظرون فرجاً قريباً فقال يا بنيّ اني قد سهرت البارحة في امر عمك سليمان فاذا صليت الظهر اقوم لرد المظالم الى اهلها فقال يا امير المؤمنين ومن اخبرك بأنك تعيش الى الظهر فقال ادن مني يا بنيّ فدنا منه فجعل يقبله بين عينيه وقال الحمد لله الذي اخرج من ظهري من يعينني على ديني فخرج وامر مناديًا ينادي ألا كل من كانت له مظلمة فليرفعها فتقدم اليه رجل ذمي من اهل حمص فقال يا امير المومنين ان العباس بن الوليد اغتصبني ارضي والعباس جالس فقال عمر ما تقول يا عباس فقال ان امير المومنين الوليد اقطعني اياها وهذا كتابه فقال عمر ما تقول يا مدعي فقال يا امير المومنين اسألك كتاب الله تعالى فقال عمر نعم كتاب الله احق ان يتبع من كتاب الوليد اردد يا عباس اليه ارضه فردها اليه ثم جعل لا يدع شيئاً مما كان في يد اهل بيته من المظالم الا رده مظلمة مظلمة فلما بلغ الخوارج سيرته وما رد من المظالم اجتمعوا كلهم وقالوا ماينبغي

لنا الا طاعة هذا الرجل فان طاعته واجبة ودخلوا تحت الطاعة ولما بلغ عمر بن الوليد بان عمر بن عبد العزيز رد الضيعة الى صاحبها كتب اليه (اما بعد) انك قد ازريت على من كان قبلك من الخلفا وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضاً لهم وشيناً لمن بعدهم من اولادهم وقطعت ما امر الله به ان يوصل حيث عمدت الى اموال قريش ومواريثهم فادخلتها في بيت المال ظلماً وعدواناً ولن تترك على هذا الحال والسلام فلما قرأ كتابه كتب اليه (بسم الله الرحمن الرحيم) من عبدالله عمر بن عبد العزيز الى عمر بن الوليد السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (اما بعد) فانه قد بلغني كتابك اما اول شانك يا ابن الوليد فأمك بنانة كانت تطوف باسواق حمص وتدخل في حوانيت حمص ثم الله اعلم بها ثم اشتراها ذبيان من بيت المال ثم اهداها لابيك فحملت بك فبئس المولود انت ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً تزعم اني من الظالمين حيث احرمتك انت واهل بيتك من مال الله الذي فيه حق القرابة والمساكين والارامل وان اظلم مني واترك لعهد الله من استعملك صبياً سفيهاً على جند المسلمين تحكم فيهم برايك فويل لابيك ما اكثر خصمائه يوم القيمة واني ارى فرضاً شرعياً بيع رقبتك وقسم ثمنك بين اليتامي والارامل والمساكين حيث ان لكل فيك حقاً والسلام على من اتبع الهدى ولا ينال سلام الله القوم الظالمون وذكر ابن عساكر وغيره ان عمر بن عبد رضي الله عنه كان قد شدد على اقاربه وانتزع كثيراً مما كان في ايديهم فنفروا عنه وسموه وقد دعا خادمه الذي سمه وقال له ويلك ما حملك على ان سقيتني السم فقال الف دينار اخذتها فقال هاتها فجاء بها وامر بطرحها في بيت المال وقال لخادمه اخرج بحيث لا يراك احد قال مسلم بن عبد الملك دخلت على امير المومنين عمر بن عبد العزيز اعوده في مرضه الذي مات فيه فاذا عليه قميص وسخ فقلت لاهل بيته اغسلوا قميص امير المومنين فقالوا نغسله انشاء الله ثم عدت مرة ثانية

فاذا القميص على حاله فقلت لهم الم اقل لكم اغسلوا قميص امير المومنين فان الناس يعودونه فقالوا والله ما له قميص غيره واعلم ان مناقبه رضي الله تعالى عنه كثيرة جدًّا فاذا اردت معرفة ذلك فعليك بسيرة العمرين والحلية وغيرهما وكان مرضه بدير سمعان من ارض حمص وتوسيفي رضي الله عنه لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة وهو ابن اربعين سنة وكان اليه المنتهى في العلم والفضل والورع جدد الله به مجد الامة ورفع به شأنها وسار بسيرة جده عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقال الامام الشافعي الخلفاء الراشدون خمسة وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضوان الله عليهم اجمعين وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

ثم بويع بالخلافة ليزيد بن عبد الملك يوم موت عمر بن عبد العزيز بعهد له من اخيه سليمان ولبث في الخلافة اربع سنين وشهر واحد وتوفي وعمره تسع وعشرون سنة

ثم بويع بالخلافة لهشام بن عبد الملك بعهد له منه وكانت خلافته تسع عشرة سنة وتسعة اشهر وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ثم بويع بالخلافة للوليد بن يزيد بعهد له من ابيه ومدة خلافته سنة واحدة

ثم بويع بالخلافة ليزيد بن الوليد ولم يلبث بالخلافة الا خمسة اشهر واخترمته المنية وعمره اربعون سنة

ثم بويع بالخلافة لابراهيم بن الوليد بعهد له من اخيه يزيد ولم يثبت له امر فخلع و بويع لمروان بن محمد بعد خلعه وفي ايامه ظهر ابو مسلم الخراساني صاحب الدعوة وظهر السفاح بالكوفة و بويع بالخلافة له وتمزقت دولة بني امية ولم تقم لهم قائمة فسبحان من تفرد بالبقاء وله العز والعظمة

خلافة السفاح

قال المؤرخون كان اول دولة بني العباس السفاح وهو ابو العباس

عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بويع له بالخلافة في سنة اثنتين ومائة وثلاثين ومات يوم الجمعة ثالث عشر من ربيع الاول واستوزر ابا مسلم حفصاً وهو اول من لقب بالوزير واستمر هذا اللقب الى زماننا هذا ثم مرض بالجمى ومات وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ونصف وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر رحمه الله

﴿ خلافة ابي جعفر المنصور ﴾

بويع بالخلافة لاخيه المنصور يوم وفاته بعهد له منه وهـو الملقب بالدوانيقي لانه كان يحاسب عماله بالدقة حتى على الدانق والحبة وقد كلف الامام الاعظم ابا حنيفة النعمان على القضأ فلم يقبل وهو ابو الخلفاء العباسيين كلهم وبدئ بعصره بتدوين العلم وكتابته كالحديث والفقه والتفسير وقد حث العلمأ الأعلام على توسيع نطاق العلم والمعارف وتوفرت له الشروط حيث قد كان في مدة خلافته الامام ابن جريج ومالك والاوزاعي وابن عمرويه وحماد وابو حنيفة وسفيان الثوري وغيرهم من اجلاء العلمأ وعظمت هيبة المنصور في النفوس ونقل دار الخلافة الى بغداد ودانت له البلاد واطاعته العباد

واما الأندلس فان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام لما هرب من الشام مستخفياً من العباسيين حينما كانوا يقتلون بني امية وقد وصل الى الأندلس وتغلب عليها فكان له بها ملك عظيم ومن عقبه عبدالرحمن الناصر الذي في مدته اتسع الملك بالاندلس اتساعاً عظيماً وهو الذي بني مدينة الزهراء بالاندلس وهذه المدينة هي من عجائب الدنيا دالة على عظم قدر بانيها ولما تممها صنع قبة لاجل جلوسه وزينها بانواع الذهب والفضة وفرشها بالديباج الرومي وصرف عليها القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وصنع وليمة للعلماء ودعاهم وجلس في القبة لاستقبال العلماء فحضروا ومعهم القاضي

منذر البلوطي فلما رأى تلك القبة فقال له يا امير المؤمنين ما ظننت بان الشيطان لعنه الله يتمكن من قيادك هذا التمكين و يبلغ منك هذا المبلغ مع ما اتاك الله من فضله واسبغ عليك من نعمه وفضلك على العالمين فقال له وكيف ذلك فقال بهذه الزينة وهذه الزخرفة وما فيها من الاسراف الذي لا ينبغي لأن مثلك يكون قدوة لرعيته ومثالاً لهم فالناس على دين ملوكهم فبهت الخليفة واطرق راسه ملياً ثم رفع راسه واقبل على القاضي وجعل يقبل يديه ويقول له جزاك الله عني وعن الدين خير الجزاء وامر بنقضها وصرف ثمنها في بيت المال

هكذا يطلب من العلماء الآن لان سلطة الاستبداد كانت لا تمكنهم ان يصدعوا بسيف الشريعة الغرا مع ان سلطتها انفذ للقلوب وسلطانها فوق كل سلطان والعلماء هم حملة الشريعة وعليهم تنفيذ احكامها واوامرها فاذا راقبوا الله اكثر من مراقبتهم للسلطان نصرهم الله وعزز كلمتهم عند كل نداء ينادون به باسم الدين ومع هذا ان سلطة الاستبداد مضت (والحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور)

واما المنصور فقد توفي سنة ثمان وخمسين ومائة وكانت مدة خلافته احدى وعشرين سنة واحد عشر شهراً واربعة عشر يوماً ثم بويع بالخلافة لابنه محمد المهدى يوم وفاته بعهد منه ومكث في الخلافة عشر سنين وشهر واحد ثم توفي وعمره اثنان واربعون سنة وكان جواداً كريماً ممدوح السيرة رحمة الله تعالى عليه

ثم بويع لابنه موسى الهادي ولم يلبث الا سنة واحدة و بعض ايام وتوفي في اليوم الرابع من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة وعمره اربع وعشرون سنة رحمه الله

خلافة هارون الرشيد

بويع له بالخلافة في اليوم الذي توفي به اخوه بعهد لهما من ابيهما

محمد المهدى وقد ولد له في تلك الليلة المأمون وكانت ليلة عجيبة لم ير مثلها في بني العباس مات فيها خليفة وولد فيها خليفة وولي فيها خليفة وايام الرشيد كانت مزدانة بالعلم والادب وقد كان قاضيه الامام ابا يوسف رحمه الله وقد كان الرشيد رحمه الله جوادًا كريمًا ممدوحاً شجاعاً مهاباً محتشماً معظماً محترماً محبّاً للعلم واهله عالماً متضلعاً على الخصوص بعلم الحديث واما مايذكره القصاصون واهل السير بان الرشيد كان منهمكاً على اللذات والمنادمات مع ابي نواس وغيره فهذا كله كذب لا اصل له ومقامه يجل عن ذلك واعلم ان لهذا الخليفة ترجمة واسعة ومناقب كثيرة منها ما ذكره معاوية الضرير انه قال اكلت مع الرشيد يوماً فصب على يدي رجل لا اعرفه فسألت عنه فقيل لي الرشيد فقلت له ما حملك على هذا يا امير المؤمنين فقال اجلالاً للعلم وفي سنة تسع وسبعين ومائة توفي الامام مالك رضي الله عنه وقد اخذ عنه جملة من العلماء الاجلاء منهم الامام الاوزاعي حبر الديار الشامية المدفون خارج مدينة بيروت ومنهم الامام الشافعي ومنهم يحيى بن سعيد رضي الله عنهم وفي هذه السنة توفي الامام مسلم بن خالد الزنجي شيخ الامام الشافعي ايضاً فقد قرأ عليه قبل ان يقرأ على الامام مالك وفي سنة ثمانين توفي سيبويه امام النحو المشهور وفيها توفي الامام ابو يوسف رحمهم الله تعالى

وتوفي هارون الرشيد في سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن سبع واربعين سنة وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة رحمه الله ثم بويع بعده بالخلافة لابنه الامين بعهد له من ابيه الرشيد ولم تستقم له الامور لسوء ادارته وعدم استقامته ومكث اربع سنين وثمانية اشهر ثم قتل وعمره ثمان واربعون سنة رحمه الله

﴿ خلافة عبدالله المامون ﴾

بويع له بالخلافة يوم موت اخيه الامين بعهد له من ابيه وباجماع

الامة على ذالك خلا ما كان من امر الاندلس حيث كانت امراؤه لم يتقيدوا بطاعة العباسيين لبعد الديار

وقد كان المامون شهما كاملاً بعيد الهمة ابي النفس نجم بني العباس في العلم والحكمة قرأ العلم على الامام الاعظم ابي حنيفة وسمع الحديث من ابيه الرشيد ولم يكن في بني العباس رجل اعلم منه وفي ايامه رقى العلم رقياً عظيماً لانه كان يحتفل بالعلماء ويكرمهم ويقربهم وقد وصلت في زمنه الدولة العباسية الى درجة خضعت لها جميع الامم وقد ضربت في الرقي الحقيقي باوفر منهم الامر الذي يدل على ان العلم هو مجد المملكة واس النجاح

قد ذكر المؤرخون في سيرة هذا الخليفة النبيل انه قد تقدم اليه ذات يوم امرأة عليها اثر السفر فوقفت بين يديه فقالت السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال لها وعليكِ السلام ورحمة الله يا امة الله تكلمي بحاجتك فقالت

يا خير منتصف يهدى له الرشد ... و يا اماماً به قد اشرق البلد
تشكو اليك عميد القوم ارملة ... عدا عليها ولم يشفع بها احد
وابتزّ مني ضياعي بعد منعتها ... حتى تشتت عني الاهل والولد

فاطرق المامون راسه ملياً واجابها

في دون ما قلت زال الصبر والجلد ... عني وافرح مني القلب والكمد
هذا اذان صلاة العصر فانصرفي ... واحضري الخصم في اليوم الذي اعد
والمجلس السبت ان يقضي المليك لنا ... ننصفك فيه والا المجلس الاحد

فانصرفت وجاءت اليه يوم الاحد فقالت السلام عليك يا امير المؤمنين فقال وعليك السلام اين الخصم فقالت هذا هو الواقف على راسك واومت الى ابنه العباس فقال يا احمد خذه واوقفه موقف الخصوم ثم علا صوتها على صوت العباس فقال لها يحيى يا امة الله انك واقفة بين يدي الامير وانت تكلمين ابن الامير فاخفضي صوتك فقال له المامون دعها يا يحيي

فان الحق انطقها واخرسه ثم قضى لها برد الضيعة وكتب لها الى العامل وامر لها بنفقة ولما عين المامون عبدالله بن طاهر واليًا على مصر واستلم الاحكام وباشر الاشغال كتب له ابوه طاهر كتابًا يعظه فيه ولما ان كان هذا الكتاب هو كتاب عظيم في بابه قد جمع كل ما يحتاج اليه الامير من الادب والسياسة وحث على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم اردت أن الخصه في هذا المختصر وهو

(اما بعد) عليك بتقوى الله فان الله اوجب عليك الرحمة بمن استرعاك ومؤاخذك اذا اهملت امورهم وموقفك وسائلك ومثيبك على ما قدمته يدك او مجازيك ففرّغ لما اقوله فهمك ونظرك وعقلك

واظب على صلواتك الخمس بالجماعات واحضض عليها من معك وتحت يدك لان الله يقول (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) واتبع سنن الرسول صلى الله عليه وسلم وثابر على اتباع اثار السلف الصالح من بعده وعليك بالاقتصاد في كل الامور فانه داع الى الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قائد للسعادة واحسن الظن بالله تستقم لك رعيتك واقم حدود الله على اصحاب الجرائم ولا تعطل ذلك واياك ان تتهاون به ولا تؤخر عقوبة اهل العقوبة واوف العهود وانجز الوعود واقبل الحسنة وادفع بها واحفظ لسانك عن قول الكذب والزور وواصل الضعفاء وصل الرحم واياك والحدة والغرور والأستبداد بان تقول انا مسلط افعل ما اشاء واحكم ما اريد فان ذلك دليل على قلة العقل وضعف الراي واملك نفسك عند الغضب ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التقوى والبر والعدل واستطلاع الرعية وعمارة البلاد وتفقد امور الرعية واحفظ دمائهم واغث ملهوفهم ولا تكنز المال اذا كثر عندك فان كنزته لا ينمو واما اذا صرفته في اصلاح الرعية فانه ينمو وتنصلح فيه العامة و يطيب به الزمان وفرّقه في عمارة البلاد بعد ايفاء رواتب المامورين وصلاح امورهم ومعايشهم و بذلك

نقدر على جباية الخراج وجمع اموال الرعية ليكونوا جميعاً اسلس لطاعتك واطيب نفساً واذا امرتهم بامر فعلوه بكمال الامتثال والصدق واياك ان تنسينك الدنيا وغرورها هول الاخرة فتتهاون بما يجب عليك وشاور العلماء في امورك وخذ عن اهل التجارب والحكمة والعقل واعلم ان القضاء هو ميزان الله الذي تعتدل به احوال الناس و باقامة العدل تصلح احوال الرعية وينتصف المظلوم وتاخذ الناس حقوقهم وتثبت وتانّ وراقب وتدبر وتفكّر واجعل لك في كل ناحية اميناً يخبرك عن عمالك و يكتب اليك باعمالهم حتى تكون كانك مع كل عامل في عمله معاين لاموره واياك ان تؤخر عمل اليوم الى غده لئلا يجتمع عليك عمل يومين فيشغلك ذلك فامض كل يوم عمله واستعمل احرار الناس وذوي السن منهم ممن تستيقن صفاء باطنه فأحسن اليه وفر به ووقت لعمالك الذين هم بحضرتك لكل واحد وقتاً في كل يوم يدخل فيه عليك بكتبه ودفاتره و يطلعك على ما عنده من حوائج عمالك ثم فرّغ لما يورده عليك سمعك و بصرك وفهمك وعقلك فما كان موافقاً للعدل فامضه والا فاخره حتى تتبصر به ثم اصرفه اذا رايته غير منطبق على العدالة وتفهم كتابي هذا واكثر النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع امورك والسلام

ولما بلغ المامون خبر هذا الكتاب استنسخه وامر بتبليغه الى جميع العمال في النواحي وقال يرحم الله اباعبدالله طاهراً فانه لم يترك شياً من امر الدين والدنيا والسياسة والتدبير والرأي واصلاح الملك والرعية وطاعة الخلفاء الا وحث اليه ونبه عليه وقد فتحت في ايام المامون فتوحات كثيرة وكان رحمه الله مليح الشمائل ديّناً صاحب دهاء وسياسة عظيم القدر حليماً رشيداً جواداً كريماً عالماً متمكناً خصوصاً بعلمي النحو والنجوم وتوفي لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين وعمره تسع واربعون سنة وخلافته عشرون سنة وخمسة اشهر رحمة الله تعالى عليه

﴿ خلافة اخيه ابي اسحاق المعتصم ﴾

بويع له بالخلافة يوم موت اخيه بعهد له منه ومن احسن ما سمعنا عنه ان فتاة مسلمة كانت اسيرة في بلاد الروم فنادت ذات يوم وامعتصماه فطرق اذنه هذا الخبر وهو في مجلس انسه فانقلب هذا الانس وحشة وهذا السرور كدرًا فقال لبيك لبيك ونهض قائمًا على اقدامه وركب وسار من وقته واقسم ان لا يعود الا بفك الاسيرة من اسرها وكشف الضر عنها فلحقه جيش عظيم من عساكره وغزا بلاد الروم وفك الاسيرة ثم بعوده تزينت له البلاد واستقبلته بالفرح والابتهاج الرعية والاجناد وله ترجمة واسعة و بالجملة فقد كان رحمه الله عالي الهمة شهمًا ماجدًا شجاعًا مقدامًا وقد كان امّيًا لا يقرأ ولا يكتب وسبب ذلك ان خادمه الذي كان يذهب معه الى المكتب قد توفي فقال له ابوه الرشيد مات خادمك يا ابراهيم فقال له استراح من المكتب فقال له ابوه اوقد بلغت عداوة المكتب معك الى هذا الحد فقال اتركوه ولا تاخذوه على المكتب وفي مدة المعتصم توفي الامام احمد بن حنبل وذلك في سنة احدى واربعين ومائتين

وتوفي المعتصم في ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين وعمره سبع واربعون سنة وخلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام ولذلك لقبوه بالثماني وقد فتح الفتوحات الكبار الى ان وصل الى اقصى بلاد الروم رحمة الله تعالى عليه

ثم بويع لابنه هارون الواثق بالله يوم موت ابيه وقد كان رحمه الله عالمًا اديبًا جيد الشعر شجاعًا مهابًا حازمًا فطنًا وتوفي في رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة وخلافته خمس سنين وتسعة اشهر رحمه الله ثم بويع لاخيه جعفر المتوكل بعهد له منه وقد رفع الفتن وامر بنشر الآثار النبوية واعز اهل السنة ثم قتل في

شوال سنة سبع وار بعين ومائتين وعمره ار بعون سنة وخلافته ار بع عشرة سنة وعشرة اشهر رحمه الله

ثم بويع لابنه محمد المنتصر ثم احمد المستعين بالله ثم المعتز بالله بن المتوكل ثم جعفر المهتدي بالله ثم المعتمد على الله بن المتوكل ثم ابي العباس احمد بن المعتضد ثم المكتفى بالله بن المعتضد ثم اخيه جعفر ثم عبدالله بن المعتز ثم محمد القاهر بالله بن المعتضد ثم ابي العباس احمد الراضي بالله ثم ضعفت الدولة العباسية وصارت البلاد الكبيرة في ايدي المتغلبين وكان كل من حصل في يده بلدة وقدر على مُلكها مَلكها وتحصن فيها ومانع عن نفسه ولم يبق في يد الراضي بالله سوى بغداد وما والاها فبطلت دواوين المملكة ونقص قدر الخلافة وعم الخراب فسبحان الدائم الذي تفرد بالعز والعظمة القائل (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ثم بويع بالخلافة لابراهيم المتقى بالله ثم لعبدالله المستكفى بالله ثم لابي الفضل المطيع لله ثم لعبد الكريم الطائع لله ثم لابي العباس احمد القادر بالله ثم لعبدالله ابي جعفر القائم بامرالله ثم لابي القاسم المقتدى بامرالله ثم لابي العباس المستظهر بالله ثم للفضل ابي منصور المسترشد بالله ثم لجعفر الراشد بالله ثم لمحمد المقتفى لامر الله ثم ليوسف المستنجد بالله ثم للمستضيء بنور الله ثم لابنه محمد الظاهر بالله ثم لابنه المستنصر بالله ثم لابنه المعتصم بالله وهو اخر الخلفاء العراقيين ثم لم ينتظم لبني العباس امر في العراق ومدة دولتهم فيها خمسمائة واربع وعشرون سنة فسبحان الدائم الباقي وكل من عليها فان وبقي العصر بلا خليفة مدة ثلاث سنين ولا حول ولا قوة الا بالله

ثم اجتمع المصريون وبايعوا المستنصر بالله احمد بعد ان اثبت نسبه وذلك في شهر رجب سنة تسع وخمسين وستماية ثم سار الى بغداد ليملكها فالتحم القتال بينه وبين التتر وقتل في اخر هذه السنة ثم بايعوا بعده الحاكم بامر الله ثم المستكفى بالله ثم احمد الحاكم بامر الله ثم المعتضد بالله

ثم المتوكل على الله ثم المستعصم بالله ثم عمر بن المعتضد بالله و يلقب بالواثق بالله ثم المتوكل على الله ثم العباس ثم المعتضد بالله ثم المستكفى بالله وهو اخرهم

واما الخلفاء العبيديون وهم الذين تسموا بالفاطميين فاول من ملك منهم بالمغرب المهدى ثم القائم ثم المنصور ثم المعز وهو اول من ملك مصر ثم العزيز ثم الحاكم ثم الظاهر ثم المستنصر ثم المستعلى ثم الآمر ثم الحافظ ثم الظافر ثم الفائز ثم العاضد وهو اخرهم

ثم انتقلت دولة مصر الى الايوبيين واولهم صلاح الدين الملك الناصر ثم العزيز ثم الافضل ثم اخوه الملك العادل الكبير صلاح الدين ثم ابنه الكامل ثم العادل ثم الملك الصالح ايوب ثم ولده نورانشاه وهو اخرهم

ثم ملك الناس السلطان معز الدين ايبك الصالحي ثم ابنه المنصور ثم المظفر ثم الظاهر بيبرس ثم ابنه السعيد محمد ثم الملك العادل شلامش

ثم انتقلت الدولة الى الاتراك واولهم السلطان المنصور قلاوون الالفي ثم ابنه الاشرف خليل ثم الظاهر بيدر ثم الناصر ثم تسلطن مملوك ابيه المظفر بيبرس ثم المنصور حتى انتهت السلطنة الى السلطان الغوري الذي قتله السلطان سليم الاول كما سياتي انشاالله

﴿ سلاطين آل عثمان الفخام ﴾

اعلم انك اذا وقفت على سير الدولة الاسلامية بعد الخلفاء الراشدين تعلم علماً قطعياً ان سيرة هذه الدولة العثمانية هي من احسن سير الدول الاسلامية بعد الخلفاء لان كلا منهم سار على منهج الخلفاء الراشدين باجتماع الكلمة واتحاد القلوب وجمعوا الناس على خليفة واحد بعد ان تشتت امر الخلافة وصار الناس متغلبين على اكثر البلاد بعضهم يقوى على بعض وكل من حصل بقوته على بلد ملكها و يحكم فيها ما يريد و يفعل فيها مايشاء كما علمت ذلك كله اجمالاً في هذا المختصر

اما اصل هذه الدولة العادلة فهو من التركمان وقيل من العرب وانهم من المدينة المنورة وان جدهم الاعلى هاجر منها والله اعلم

واول من تسلطن منهم بالروم عثمان جدهم وهو ابن ارطغرل بن سليمان شاه وسليمان شاه كان سلطاناً في بلاد ماهان بالقرب من بلخ فلما ظهر التتر افسد في الارض وخرب البلاد فترك سليمان شاه البلاد مع من تركها من الملوك وقصد بلاد الروم وقد سمع بالدولة السلجوقية فقصدهم بالروم فمر بمن معه من نهر الفرات فغلب عليه الماء فغرق ومات شهيداً فاخرجوه ودفنوه وقبره هناك مشهور يزار الى الان ثم تولى امارة الجيش الذين كانوا معه ولده ارطغرل فلما وصل الى السلطان السلجوقي استأذنه بالنزول في ارضه فاذن له وعين له محلاً واسعاً فسكنه بمن معه وكان معه ما ينوف عن اربعمائة من قومه ثم لما صار حرب التتر مع السلطان علاء الدين غزاهم ارطغرل بمن معه وحاربهم وكسرهم وفتح بلادهم عنوة وغنم اموالاً كثيرة فازداد عند السلطان علاء الدين قرباً ومنزلة فلما ان توفي الامير ارطغرل تاسف عليه السلطان علاء الدين وعين مكانه ولده الامير عثمان فرأى منه كل همة ونشاط ايضاً واكرمه غاية الاكرام وجعله شريكاً في السلطنة وخلع عليه الخلع السنية ولما ان توفي السلطان علاء الدين السلجوقي استولى السلطان عثمان على جميع ممالكه وصارت كلها تحت يده وكان ملكاً عظيماً شجاعاً كريماً فتح الفتوحات العظيمة وملك الحصون المشيدة وقهر الجبابرة العظام وقد كان يراعي الابطال و يقدر الرجال ثم توفي رحمه الله سنة ست وعشرين وسبعماية وعمره تسع وستون سنة ومدة سلطنته ست وعشرون سنة

ثم تسلطن بعده ولده السلطان اورخان فاستمال اليه قلوب الناس قاطبة واتسع نطاق المملكة وافتتح اكثر بلاد اليونان وعامل الناس بالشفقة والرحمة حتى اطاعته العباد وتوفي سنة احدى وستين وسبعمائة وعمره ثلاث وثمانون سنة ودفن بمدينة بروسة ومدة ملكه خمس وثلاثون

سنة ثم تسلطن بعده ولده

﴿ السلطان مراد الاول ﴾

فخضع لسلطنته معظم مقاطعة مكدونيا و بلاد الارناءوط وفتح كثيرًا من بلاد اليونان وعبر بحر مرمرا وفتح مدنًا وقلاعًا جهة تساليا ثم قتل في بعض الحروب ومات شهيدًا وعمره خمس وستون سنة وسلطنته احدى وثلاثون سنة ثم تسلطن بعده ولده

﴿ السلطان يلدرم بايزيد خان ﴾

ومن فتوحاته انه استولى على مدينة رودس وافتتح بلادًا كثيرة في الاناضول والروملي واستولى على مدينة سلانيك وغزا بلاد المجر وانتصر على جيوش الافرنج ثم وجه عزمه الى فتح القسطنطينية فوقع بينه و بين التيمور حرب هائل واسر و بقي في اسر التيمور الى ان توفي رحمه الله ثم تسلطن بعده ولده

﴿ السلطان محمد الاول ﴾

وكان اصغر اخوته فصفا له الدهر وانتظم له الامر ونقل كرسي السلطنة الى ادرنه وانته رسل ملوك الافرنج بالتحف والهدايا وعقدوا معه صلحًا خوفًا منه واعاد رونق السلطنة ووسع نطاقها واستولى على عدة قلاع وكذلك استولى على البلاد الذين كان استرجعها التيمور من ابيه السلطان بايزيد ثم توفي سنة اربع وعشرين وثمانمائة وعمره ثمان واربعون سنة ومدة سلطنته ثمانية اعوام وعشرة اشهر ثم تسلطن بعده ولده

﴿ السلطان مراد الثاني ﴾

ولما جلس على كرسي السلطنة رتب الامور ونظمها واستخلص مدنًا كثيرة كانت الافرنج قد استولت عليها ثم عقدوا معه صلحًا واستتب

السلام وصفا له الدهر ثم اراد ان ينزل عن السلطنة لولده السلطان محمد فنزل عنها وسلمه زمام السلطنة وشاع هذا الخبر فتناقلته ملوك الافرنج فعقدوا جميعاً على محاربة الدولة يداً واحدة فلما بلغ ذلك اركان الدولة استصوبوا ان يدعوا السلطان مرادا ليكون معهم لانه ذو فكرة و بصيرة وراي سديد فاسترضوه وسار معهم ووقع بين الفريقين حرب وقتال ثم نزل السلطان مراد الى الميدان وطلب كبير ملوك الافرنج للبراز فبرز اليه ولم تكن غير ساعة حتى قطع راسه ثم رفع الراس على رمحه ونادى هذا راس كبيركم فلما سمعوا ذلك انهزموا عن اخرهم وكانت العاقبة للمتقين

ولما انقضى القتال ارتأى اهل الحل والعقد باعادة السلطان مرادالى الملك فلم يزالوا معه حتى استرضوه فرضي واجلسوه على سرير المملكة وبقي الى ان توفي سنة خمس وخمسين وثمانمائة وعمره تسع واربعون سنة ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وكان قبل موته اوصى ابنه محمداً ان يهتم بفتح القسطنطينية

﴿ السلطان محمد الثاني بن السلطان مراد الثاني ﴾

وهو السلطان الشهير بابي الفتوحات ولما تسلطن كان عمره تسع عشرة سنة فاهتم في فتح القسطنطينية وشرع في مهماتها ومقدماتها وهي من اعظم البلاد واكبرها وامنعها فنهض بعسكر كثير وجيش كبير وعزم صارم ورأي حازم في اسعد الاوقات متوكلاً على فائض الخيرات والبركات وهجم بعساكره وقاتل دونها قتالاً اي قتال واجرى اموراً تعجز عنها اساطين الابطال الى ان دخلها بعساكره وقتل ملكها وغنم المسلمون من الاموال ما لم يسمع بمثله في عصر من الاعصار لان السلطان لما شاهد العيّ والفتور في العسكر امر مناديا ينادي ان الغنائم كلها لكم و يكفيني فتح المدينة ولما دخل السلطان المدينة بعساكره توجه الى كنيستها العظمى اياصوفية

وازال ما فيها وصلى بها ركعتين صلاة الفتح ودعا الله تعالى وحمده واثنى عليه وجعلها مسجداً جامعاً للمسلمين وقد روى الامام احمد باسناد حسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (لتفتحن القسطنطينية ولنعم الامير اميرها ولنعم الجيش جيشها) وهذا الحديث من معجزاته صلى الله عليه وسلم ومن اعلام نبوته لان فيه الاخبار بالغيب ووقع كما اخبر عليه الصلاة والسلام ومدة سلطنة هذا السلطان الجليل احدى وثلاثون سنة وشهران وتوفي عن ثلاث وخمسين من عمره ثم تسلطن بعده ولده

﴿ السلطان بايزيد الثاني ﴾

وقد كان رحمه الله ملازماً للغزو مظفراً منصوراً ملكاً عادلاً وفي اخر عمره سلم زمام الملك لابنه السلطان سليم ودعا له باليمن والبركة واوصاه بوصايا كثيرة تلزمه للسلطنة ثم توفي رحمه الله في سنة تسعمائة وثمان عشرة ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وعمره اثنان وستون سنة رحمه الله

﴿ السلطان سليم الاول بن السلطان بايزيد الثاني ﴾

ذكر المؤرخون ان السلطان سليماً كان سلطاناً قاهراً قوي البطش كثير الفحص عن اخبار الرعية عظيم التجسس عن اخبار الممالك عارفاً بمسالك الطرق والممالك يغير زيه ولباسه في بعض الاحيان ويتجسس بنفسه في الليل والنهار ويطلع على الاخبار وقد استقر له الملك واستولى على الاقاليم الكبيرة والبلاد الواسعة واستولى على الاقطار الحجازية وحارب السلطان الغوري الذي كان سلطاناً على البلاد الشامية والمصرية فقتله واستولى على بلاده واطاعته جميع القبائل ثم توفي في سنة ست وعشرين وتسعماية وعمره اربع وخمسون سنة ومدة سلطنته تسعة اعوام وثمانية اشهر ثم تسلطن بعده ولده

السلطان سليمان بن السلطان سليم الاول

كان ولي عهد ابيه ولم يحصل في سلطنته ادنى خلاف ولا نزاع وقد وصلت فتوحاته الى اقصى الشرق والغرب وافتتح بلاداً كثيرة بالقهر والحرب وكان رحمه الله رفيع القدر حسن الطبع في الحرب والسلم موصوفاً بالعلم والحزم والحلم لايرتاب احد في كمال ديانته ولا يشك انسان في كماله وولايته وكان ذا خلق عظيم وصورة جميلة ودين متين ومما يدل على قوة دينه انه قبل وفاته احضر بقجة وصرّ فيها اوراقاً وامر بان تجعل معه في قبره فعند وفاته اخبروا بذلك شيخ الاسلام ابا السعود افندي فقال لا بد من الاطلاع على هذه البقجة قبل ان نجعلها في قبره فلما فتحوها وجدوا فيها الاسئلة التي كان رحمه الله يسأل عنها شيخ الاسلام وعلى كل سؤال معه الجواب فبكى شيخ الاسلام وترحم على هذه النفس الصالحة وتوفي سنة تسعماية واربع وسبعون ومدة سلطنته سبع واربعون سنة وعمره اربع وسبعون سنة رحمه الله

السلطان سليم الثاني بن السلطان سليمان

جلس على تخت السلطنة بعد وفاة والده وقد كان مهاب الشكل جميل الصورة جليل القدر صحيح العقيدة حنفي المذهب كبقية اسلافه وهو الذي شرع في عمارة المسجد الحرام بعد ان كان مسقوفاً بالخشب وصار في غاية الخراب فأمر بان يجعل قببا كما هو مشاهد الان وتوفي قبل اكمال التعمير فاتمه ولده السلطان مراد كما سيأتي وتوفي السلطان سليم سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وعمره اثنان وخمسون سنه ومدة سلطنته ثمان سنين وخمسة اشهر ثم تسلطن بعده ولده

السلطان مراد الثالث

وقد كان ملكاً جليلاً تربى في حجر السعادة وقد فاق كثيراً من

اسلافه بالعلوم والمعارف واشتغل بعلم التصوف وكان قائمًا بنصرة الدين وحماية الراية الاسلامية وهو الذي اكمل بناء المسجد الحرام وكان يحسن النظم بالعربية والتركية والفارسية وتوفي رحمه الله سنة ثلاث بعد الالف وعمره خمسون سنة ومدة ملكه عشرون سنة ثم تسلطن بعده ولده

﴿ السلطان محمد الثالث ﴾

وهذا ايضًا كان سلطانًا عظيم القدر جوادًا عالي الهمة ساعيًا في اقامة الشعائر الدينية مراعيًا للاحكام الشرعية ومن احسن ما سمعناعنه انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم نهض قائمًا على اقدامه وبالجملة فقد كان كامل الاوصاف محبًا للعدل والانصاف وتوفي رحمه الله سنة اثني عشرة بعد الالف وعمره تسع وثلاثون سنة ومدة سلطنته تسع سنين وشهران ثم تسلطن بعده ولده

﴿ السلطان احمد الاول ﴾

وهو الرابع عشر من سلاطين آل عثمان ولذلك لقبوه ببدرهم لانه اضاء به الملك وقد كان عظيم القدر جميل الذكر متمسكًا بالسنة مراعيًا لها ومحافظًا وجاء تاريخ جلوسه هو خير السلاطين ١٠١٢ وتوفي رحمه الله في سنة ست وعشرين بعد الالف وعمره خمس وعشرون سنة ومدة سلطنته اربع عشرة سنة وعهد الى اخيه مصطفى لان اولاده كانوا صغارًا فبويع بعده لاخيه

﴿ السلطان مصطفى ﴾

ولم يلبث الا ثلاثة اشهر وخلع لانه كان زاهدًا متقشفًا فتشاور اهل الحل والعقد بخلعه واعرضوا ذلك عليه فخلع نفسه وبايع ابن اخيه عثمان بطوعه واختياره ولم يحصل بذلك ادنى تشويش ولا ما يكدر الصفاء

﴿ السلطان عثمان بن السلطان احمد ﴾

كان من احسن السلاطين خَلقًا وخُلقًا وفيه شجاعة وفروسية ثم قتل بفتنة

كبيرة واعيد السلطان مصطفى فاضطربت الامور وامتنع الناس عن الدخول في بيعته ولم تزل نار هذه الفتنة موقدة حتى خلع السلطان مصطفى واقاموا بعده

﴿ السلطان مراد الرابع اخو السلطان عثمان بن السلطان احمد ﴾

وجاء في تاريخ سلطنته (مراد خان العادل) سنة ١٠٣٢ ومع صغر سنه كان له عقل ثاقب وراي سديد وصار من ابطال ذلك الزمان خضعت له عظماء ملوك الافرنج وكان كثير البحث عن اخبار الرعية وعن احوال ولاة البلاد وهو الذي جدد عمارة الكعبة الشريفة وهي العمارة الموجودة الان وتوفي رحمه الله سنة تسع واربعين والف وعمره تسع وعشرون سنة ومدة سلطنته ست عشرة سنة واحد عشر شهرًا وخمسة ايام ثم تسلطن بعده اخوه

﴿ السلطان ابراهيم بن السلطان احمد ﴾

كان زمانه من انضر الازمان وعصره من احسن العصور اطاعته جميع الممالك واعتدل له الزمن وسكنت بجلوسه الفتن وهذا كان في اول ولايته ثم انهمك في لذاته واسرف في بيت المال فاجتمع اهل الحل والعقد وتشاوروا في خلعه فخلعوه واجلسوا ولده السلطان محمد فكانت مدة سلطنة السلطان ابراهيم ثمان سنين وتسعة اشهر وعمره اربع وثلاثون سنة

﴿ السلطان محمد الرابع ﴾

جلس على تخت السلطنة بوقت كانت الدولة عديمة الانتظام مزعزعة الاركان قد كثر اعداؤها ومن جهة المال كانت بضيق عظيم وعسر شديد والجنود غير منقادة لاولياء امورها فكثرت الفتن ونبع الفساد وتقوى الضعفاء على الوزراء والسلطان المذكور مع صغر سنه لا يزال يبحث هو وامه عن رجل فيه اللياقة والاقتدار لأن يتبوأ مسند الوزارة الى ان عثروا على محمد باشا كوبرلي لانه كان حازمًا لبيبًا فطينًا ذا دراية وخبرة

وسياسة فلما ولي الوزارة شرع بسد الخلل الذي اوقع الدولة في الانحطاط وببرهة قصيرة انتظمت الامور لكن بقي السلطان مشتغلاً باللهو واللعب فخلع وكانت مدة سلطنته اربعين سنة وخمسة اشهر وتسلطن بعده اخوه

❋ السلطان سليمان خان الثاني ❋

جلس في اليوم الذي خلع فيه اخوه السلطان محمد وكانت امور الدولة بغاية الارتباك وقد هاجت عساكر الانكشارية وقتلوا الصدر الاعظم وفي خلال هذه الحركة استولى النامسا على كثير من ممالك الدولة فغزاهم السلطان سليمان فتركوا البلاد وهربوا وتوفي السلطان سنة الف ومائة واثنين وعمره خمسون سنة ومدة سلطنته ثلاث سنين وتسعة اشهر ثم تسلطن اخوه

❋ السلطان احمد الثاني بن السلطان ابراهيم ❋

جلس على تخت السلطنة بعد اخيه السلطان سليمان ولم يزل امر الدولة في ارتباك عظيم حيث كان مشتغلاً بحرب النامسا والمجر ثم تداخلت دولة إنكلترا مع هولاندا في الصلح بين الدولة والنامسا ولم يتم وتوفي سنة مائة وست والف وعمره اربع واربعون سنة ومدة ملكه ثلاث سنين وثمانية اشهر ثم جلس على تخت السلطنه ابن اخيه

❋ السلطان مصطفى بن السلطان محمد الرابع ❋

وعند جلوسه اصدر فرماناً يقول فيه لا يجوز لعبيد الله ان يتمتعوا بالراحة وهم على تخت السلطنة ولا بد ان اسير امام جيوشي ثم اجتمع اهل الحل والعقد واتفقوا على ان السلطان لا ينبغي له ان يخاطر بنفسه فلم يلتفت الى كلامهم ثم جهز جيشاً عظيماً وسار بنفسه وعبروا نهر الطونة وقاتلوا عساكر النامسا وملكوا جملة بلاد وقلاع وغنموا اموالهم واخذوا مدافعهم وهدموا قلاعهم وحصونهم ثم رجع السلطان ومعه جانب من العسكر

وترك الباقي لتتميم محاربتهم بعد ان تحقق ظهور عساكره عليهم ثم لما علمت النامسا رجوع السلطان جددوا القوة الحربية وجمعوا جيشاً عظيماً وقاتلوا عساكر الدولة واستظهروا عليهم فعلم السلطان وخرج بنفسه ثانياً واخذ معه جيشاً عظيما ولما التقى بهم قاتلهم قتالاً اي قتال وانتصر عليهم وقتل منهم عدداً كثيرًا وشتتوهم في جميع البلاد ورجع السلطان الى مقر ملكه ثم ان النامسا جدد الحرب ثالث مرة فخرج السلطان ايضاًواخذ معه الصدر الاعظم مع جيش عظيم وقتل بتلك الوقعة الصدر الاعظم وحصلت الهزيمة على عساكر الدولة ثم سعت دولة انكلترا وافرانسا وهولاندا بالصلح وتم الصلح على شروط باتفاق الجميع ثم انتشرت فتنة عظيمة الى ان تقرر خلع السلطان فخلعوه سنة خمس عشرة ومائة والالف ومات بعدها بسنة وعمره احدى واربعون سنة ومدة ملكه ثماني سنين واربعة اشهر وتسلطن بعده اخوه

﴿ السلطان احمد الثالث بن السلطان محمد ﴾

جلس على تخت السلطنة وفي مدته حصلت فتنة عظيمة من الانكشارية وتمردوا وطلبوا من السلطان قتل الصدر الاعظم وشيخ الاسلام وقبطان باشي فلم يقبل منهم فهجموا وقتلوا الصدر الاعظم وصاحوا بعدم الرضا بالسلطان فعرض عليهم تولية السلطان سليمان ابنه فامتنعوا ثم رأى السلطان ومن حوله بانه لا تطفى هذه الفتنة الا بتولية السلطان محمود فقام اليه السلطان احمد بنفسه واحضره واجلسه على تخت السلطنة سنة ثلاث واربعين ومائة والالف وتوفي السلطان احمد سنة تسع واربعين وعمره ستون سنة ومدة ملكه سبع وعشرون سنة

﴿ السلطان محمود الاول ﴾

قدجرى في مدته محاربات بينه وبين الروسيا والمانيا عدة سنوات وبينه

وبين العجم والنامسا وقد كان رحمه الله ذا عقل وهمة عالية وتدبير حسن وتوفي رحمه الله سنة الف ومائة وسبع وستين وعمره ستون سنة ومدة ملكه اربع وعشرون سنة ثم جلس على تخت السلطنة اخوه

﴿السلطان عثمان الثالث﴾

جلس على تخت السلطنة ومكث اربع سنين وتوفي في سنة احدى وسبعين ومائة والف وعمره ستون سنة رحمه الله تعالى

﴿السلطان مصطفى الثالث بن احمد الثالث﴾

لما اخذ في تقوية دعائم المملكة وتشييدها وتوفرت الاسباب بوجود وزيره محمد راغب باشا المشهور بالعلم والسياسة والتدبير وفي مدته حصل حرب بين الدولة والروسية فاخذت النامسا وبروسيا بالتوسط للصلح وتوقيف الحرب ولما رأت الدولة ان مطاليب المسكوب غير مقبولة رفضت هذا الطلب واشهرت الحرب وفي اثنا ذلك توفى السلطان مصطفى سنة الف ومائة وسبع وثمانين وعمره ثمان وخمسون سنة ومدة ملكه ست عشرة سنة ثم تسلطن بعده اخوه

﴿السلطان عبد الحميد الاول﴾

واول امر بدأ به بان بعث مع الصدر الاعظم اربعمائة الف مقاتل والتحم القتال بين الدولة والروسيا الى ان حصلت الهزيمة على عساكر الدولة فاجتهد السلطان بارجاع القوة فلم يقدر لان الجيش قد كلّ وضعف فامر الصدر الاعظم بعقد الصلح واتبع اخف الضررين فتم على شروط قبلها السلطان ثم توفي سنة الف ومائتين وثلاث وعمره ست وستون سنة ومدة سلطنته ست عشرة سنة

﴿السلطان سليم الثالث بن السلطان مصطفى﴾

وجه همته لاصلاح حال العساكر وتقوية العمارة البحرية وامر بجمع

الجيوش من جميع الجهات حيث كانت عساكر الروسية تتعدى على حدود الدولة وكانت قد انضمت الى عساكر النامسا وصاروا جميعاً على الدولة فاوقدت نار الحرب و بقيت نحو شهرين الى ان حصلت الهزيمة على عساكر الدولة ولم يزل الامر في اضطراب شديد وقد قوي عساكر الانكشارية وعظمت المصائب على الدولة فرغب السلطان ان يلاشي وجاق الانكشارية و يقيم مكانه عساكر جديدة لانهم قد زعزعوا اركان السلطنة فنظم السلطان نظاماً جديداً فهاجوا واثاروا في القسطنطينية فتنة عظيمة واعتصبوا عصبة واحدة ثم نادوا باسم السلطان مصطفى ولما رأى ذلك السلطان سليم تنزل عن السلطنة بكمال الارتياح ولم يظهر على وجهه الا الرضا التام وكان ذلك في سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف ومدة سلطنته ثمان عشرة سنة وثمانية اشهر

﴿ السلطان مصطفى بن السلطان عبد الحميد الاول ﴾

وحين جلوسه على عرش السلطنة وعد بابطال ما كان مهتماً به السلطان سليم من وضع النظام الجديد وارجاع العوائد القديمة فلما سمعوا بذلك فرحوا واستبشروا ولكن لم تزل نار هذه الفتنة قائمة الى ان تقرر خلع السلطان مصطفى وتولية اخيه السلطان محمود فخلعوه وولوا السلطان محموداً

﴿ السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد الاول ﴾

ولما استلم زمام المملكة جعل مصطفى باشا صدراً اعظم ثم شرع في تنظيم العسكر الجديد ووضع الصدر الاعظم ترتيبات جديدة لهذا النظام فانقسم الناس فريقين وحصلت فتنة عظيمة وحاصروا الصدر الاعظم في بيته وقتلوه واحيل مركز الصدارة الى يوسف باشا وعزل ايضاً شيخ الاسلام واحيلت رتبة المشيخة الى محمد عارف افندي وقد تراكمت المصائب على الدولة من كل الجهات لانها كانت في عز هذه الحركات

والفتن الداخلية مشغولة ايضاً في حرب روسيا الى ان فرّج الله عنها بعض هذه المصائب بانشغال روسيا في حرب نابليون ملك افرنسا فالتزمت روسيا ان تخرج من بلاد الدولة لوقوعها في هذا الخطب العظيم وعقدت صلحاً مع الباب العالي وهذا الصلح كان موافقاً جداً للدولة فاغتنم السلطان فرصة هذا الصلح لاجل ان يلتفت لتسكين هذه الثورات القائمات في داخل المملكة ثم شرع في اخذ التدابير اللازمة لتدمير الانكشارية وابطال وجاقهم فامر بقتل جميع العساكر الانكشارية من جميع الجهات فقتلوهم وارتاحت الدولة من شرورهم وفي اثناء ذلك غير السلطان محمود زيه ولبسه ونزع العمامة والجبة وتزيا بزي العسكر الجديد ولم يبالِ باعتراض المعترضين

ولما احدثت الدولة العساكر النظامية والتعاليم الجديدة امتنع والي الجزائر من تعليم عساكرها ولم يمتثل امر السلطان فسلط عليه الافرنسيس لتأديبه فجاؤا بجيوش كثيرة وحاصروا الجزائر وقبضوا على الباشا المتولى عليها وذهبوا به الى بلادهم وتملكوا الجزائر وحصنوها بالعساكر و بقيت في حكمهم الى الآن

وفي سنة سبع واربعين ومائتين والف كانت وقعة محمد علي باشا والي مصر مع الدولة فاصدر السلطان فرماناً مشعراً بعصيانه وبتنزيله عن ولاية مصر وامر والي حلب بالخروج عليه وحصل بينهم حرب عظيم وكان قائد الجيش ابراهيم باشا بن محمد علي باشا فسطا على عساكر الدولة وهزمهم واستولى على جميع الاقطار الشامية وفي اثناء ذلك توفي السلطان محمود وكانت مدة سلطنته اثنين وثلاثين سنة وعمره خمس وخمسون سنة وتوفي سنة خمس وخمسين ومائتين والف رحمه الله وتسلطن بعده ولده

﴿ السلطان عبد المجيد خان ﴾

واول امر بدأ به بان جهز جيشاً عظيماً لقتال محمد علي باشا لاجل

اخراج عساكره من الشام واعانه على ذلك دولة انكلترا فهزموا عساكر ابراهيم باشا واخرجوهم من الاراضي الشامية ثم توسطت دولة انكلترا بالصلح واتموه بشرط ان تكون مصر واقطارها لمحمد علي باشا ولاولاده من بعده وضربوا عليه خراجاً معلوماً يدفعه للدولة في كل سنة و يرجع للدولة الشام والحجاز وتم الصلح على ذلك

ثم اوقدت نار الحرب بين الدولة والروسيا وسببه انه قد وقع اختلاف بين طائفتي الروم واللاتين بالقدس بسبب كنيسة القامة فاخذت هذه المسألة تتعاظم وتكبر حتى وقع الباب العالي في ارتباك عظيم فتداخلت دولة الروسيا بقصد المحاماة عن حقوق الروم ولم يكن ذلك منها الالأغراض اخرى طالما كانت تترقب فرصاً لنوالها وهو ابعاد الدولة عن قارة اروبا والاستيلاء على اقاليمها وولاياتها فطلب عدة مطالب رفضها السلطان لانه رآها مخلة بناموس السلطنة الاسلامية ومغايرة لاصول وقوانين الدول وقد تحقق الباب العالي ان مقاصد الروسيا لم تكن الا وسيلة لاشهار الحرب ولما تيقنت انكلترا وافرانسا سوء نتائج هذا الحرب وتحققا غدر الروسيا نهض كل منهما لمعونة السلطان واعلنا الحرب على الروسيا واما باقي دول اروبا فكانت على الحيادة ثم لما دار الحرب وعم الكرب انهزمت عساكر روسيا والزموهم حصن المدينة وفي خلال ذلك هلك امبراطور روسيا وجلس مكانه ولده الاسكندر فاعاد قوة الحرب ودارت دائرة الخسران على الروسيا ايضاً وانفتحت حينئذ مخابرة الصلح وعقدوا جمعية في باريز حضرها اثنان من طرف كل دولة وامضوا شروط الصلح التي منها ان الدولة العلية يكون لها الامتيازات التي لباقي دول اروبا من جهة القوانين والنظامات السياسية وانها تكون مستقلة في ممالكها كغيرها من الدول ثم انسحبت العساكر الى مواطنها وانتهى الحرب الذي لم يكن له داع سوى المطامع وفي سنة ست وسبعين كانت فتنة الشام بين المسلمين والمسيحيين وهي معلومة

و بعدها حصلت الفتنة العظيمة بين الدروز والمسيحيين في جبل لبنان ووقع بها الباب العالي في ارتباك عظيم وارسل السلطان فؤاد باشا لتمهيد هذه الامور وارسلت بقية الدول نوابًا لاصلاح الحال وتقرر بينهم باتفاق الآراء وضع نظامات جديدة لاهل جبل لبنان وان تتحول احكامه الى مشير مخصوص من الطائفة المسيحية و يخابر الباب العالي في اموره راسًا

ثم توفي السلطان عبد المجيد في سنة الف ومائتين وسبع وسبعين وكان عمره اربعين سنة ومدة سلطنته اثنان وعشرون سنة وستة اشهر ثم تسلطن بعده اخوه

﴿ السلطان عبد العزيز خان بن السلطان محمود خان الثاني ﴾

وفي اول سلطنته سار بسيرة حسنة و بدا بقمع ثورة الجبل الاسود والصرب ثم قضي مدة سلطنته منغمسًا في الشهوات غارقًا في بحار اللذات مغرورًا متعظمًا محبًا لنفسه مسرفًا في بيت المال وكان سلوكه سلوك حاكم مستبد في عصر الجهالة فتنبهت نبهاء الامة من غفلتهم بسبب دراستهم التقدم الغربي ونظروا الى رقي الغربيين وانحطاط الشرقيين وقد ساعدهم على ذلك ونبه افكارهم حرية المطبوعات والجرائد قبل الضغط عليها وان مسالة نقل الخلافة الى السلطان عبد العزيز تركت عقدة سياسية وان فريقًا من دول اوروبا قد رغبوا بان تكون الخلافة للسلطان مراد لان الامة كانت تحبه لتعقله وحسن ادبه وخبرته وسياسته

وقد كان مدحت باشا من اعظم انصار السلطان مراد وهو من وزراء السلطان عبد العزيز حينئذ ولما ان تعرف مدحت باشا بعوني باشا قائد الجيش واطلعه على مباديه الحرة وجده خير نصير فاتفقا على تنظيم لائحة اصلاحية تقضي (اولاً) بمساواة العثمانيين جميعًا بقطع النظر عن مللهم ونحلهم — ثانيًا — انشاء مجلس ينوب عن الامة لاجل السيطرة على مالية البلاد واصلاحها — ثالثًا — محاكمة الوزراء اذا اذنبوا في محكمة خاصة

= رابعاً = اطلاق حرية المطبوعات كما كانت لان السلطان عبدالعزيز لما شعر بهياج الشعب ادرك ان حرية المطبوعات هي التي هيجت الشعب فضغط عليها ولما قرروا هذه اللائحة رأوا ان السلطان لم يمكن ان يجيبهم عليها فاتفق مدحت باشا مع العلماء بان يقوموا بثورة عامة ويخلعوا السلطان عبد العزيز ويولوا مراداً مكانه فاجابوه جميعاً الى ما طلب واخذوا فتوى من شيخ الاسلام خيرالله افندي رحمه الله مفادها خلع السلطان حيث اخل بواجباته ثم ان عوني باشا اعد القوة العسكرية وقاد الجنود الى القصر السلطاني وامرهم بالاحاطة به ثم ذهب بنفسه الى قصر السلطان مراد وايقظه من منامه وابلغه ذلك الخبر فارتعب وظن انها مكيدة له فطمنه عوني باشا وقد ارسلوا رديف باشا مستشار الحربية وامروه ان يدخل على السلطان عبد العزيز ويبلغه الفتوى ويعلمه ان الامة ارادت خلعه فدخل رديف باشا القصر رغماً عن الحراس وقد احس السلطان بضجيج في القصر فنهض مرعوباً واذا برديف باشا قد اقبل فصرخ عليه وامره بالخروج من القصر فقال له قم وانظر جنودك المحيطين بقصرك يريدون ان ينفذوا مراد الامة بخلعك فادرك السلطان الدسيسة وسلم الامر وقد كان عوني باشا وصل مع السلطان مراد الى دار السرعسكرية حيث كان جميع اعضاء الديوان ينتظرونهما فنادوا باسم السلطان مراد واجلسوه على تخت السلطنة وفي اليوم الثاني قرأ السلطان الجديد منشوره وهو منشور لم يسبق له مثيل لما فيه من روح الاصلاح والعدالة واما عبد العزيز فانه توفي بعد خلعه بخمسة ايام وعمره ثمان واربعون سنة ومدة سلطنته ست عشرة سنة

❋ السلطان مراد الخامس بن السلطان عبد المجيد ❋

كان رحمه الله طيب القلب حسن النية ميالاً الى المدنية الجديدة

الا انه كان ضعيف القلب والارادة وكان عصبي المزاج فاثرت عليه هذه الحوادث فاضطرب اضطرابًا مهولاً (الامر الذي حمل الناس على الظن بانه صار مسلوب العقل) ولما رأى مدحت باشا ان السلطان مراد لايقوى على القيام باعباء الحكم فوضع نصب عينيه تعيين جلالة السلطان (عبد الحميد) حفظه الله بعد ان امله حضرة السلطان المشار اليه بتنفيذ مطلوبه وذلك قبل ان يتبوأ عرش الخلافة وبهذه الاسباب اتفقوا على خلع السلطان مراد فخلعوه ولزم سرايته بكل احترام الى ان جاء القضاء المحتوم وتوفي الى رحمته تعالى

﴿ جلالة السلطان عبد الحميد الثاني حفظه الله ﴾

اول امر بدأ به بان وقع على القانون الاساسي الذي كان مهيئًا على نية ان يعلنه على اثر المبايعة و بعد بضع ايام اعلن رسميًا بانه سينشر لائحة الاصلاح الجديدة التي كان الشعب ينتظرها لان روح الاصلاح قد بثت في قلوب الامة في ذلك الحين ولما ان تمكن من عرش الخلافة ابلغ مدحت باشا بان هذه اللائحة قد قدمها له بطريقة غير رسمية وثانيًا انها لا توافق احوال المملكة وانه لا بد من تنقيحها ففهم مدحت باشا ان جلالة السلطان مراده يتملص من القانون الاساسي ولكن بقي مؤملاً بتنفيذ تلك الاصلاح على يد مجلس المبعوثان التي لا بد من دعوته وتلا حينئذ جلالة السلطان منشوره الاصلاحي و بين الداعي لمجلس المبعوثان على انه لم يكن راضيًا بالقانون الاساسي ولا بمجلس المبعوثان وانما تظاهر في ذلك ارضاً لحزب الاصلاح لبينما يدبر الامور و يعمل الاسباب الكافلة باستعادة الحكم المطلق ولذلك رآى اولاً ان يقطع الحية من راسها بابعاد مدحت باشا الذي قد رآه محور هذه الحركة وعليه المعوَّل في هذا الامر فعزله من رتبة الصدارة العظمي ونفاه الى اروبا وهناك كتب مقالاته الرنانة المهمة المدهشة التي اخذت دورًا مهماً في ذلك الوقت ثم ان جلالة

السلطان رأى ان ابعاده في تلك الديار غير صواب وربما يحدث على اثر ما كتبه وما يكتبه فتنة عظيمة فاستدعاه من اوروبا بطريقة امنه بها على حياته ومركزه وولاه على ولاية اكريت وبعد شهرين نقله الى ولاية سوريا فاشيع عنه انه مراده يعصى ويستقل بالولاية وحقيقة انه قد رتب في بلاد سوريا حزباً مهماً لتنفيذ مآربه ولكن يا للاسف لم تساعده الظروف في تلك الوقت فرحم الله هذه النفس التي قد عانت مشاق هذه الاعمال وجاهدت فيها جهاد الابطال لاجل اصلاح الامة والدولة ثم نقله جلالة السلطان على اثر هذه الاشاعة الى ازمير وجعله والياً عليها ثم استدعى الى الاستانة لاجل المحاكمة بدعوى انه قاتل عبد العزيز فعلم بالدسيسة فلجأ الى قنصلية افرانسا فوردت رسالة من الاستانة تؤمنه على حياته فسلم نفسه واخذ الى الاستانة وحوكم فشهدوا شهوداً زوراً عليه بانه قاتل عبدالعزيز فحكم عليه بالاعدام ولما راى مجلس الوزارة ان هذا الحكم غير منطبق على الاصول القانونية ابى ان يصادق عليه وان سفراء الدول اعترضوا على هذا الحكم ايضاً فابدل بالنفي فنفي الى قلعة الطائف ثم قتل فيها بعد ثلاث سنوات ومات شهيد الاصلاح اسكنه الله فسيح الجنان ؟ اما مجلس المبعوثان فقد انعقد وبحث في اهم مسائل ذلك الوقت وكان مدة انعقاده حرب هائل بين الدولة والروسيا وقد تضاربت آراء اعضائه ووقعوا في خلاف شديد مع رجال الحكومة الامر الذي حمل جلالة السلطان على حله وبقي ملغى الى هذه السنة المباركة وهي سنة ست وعشرين وثلاثماية والف

ومما كان من الحوادث ايام سلطنته حفظه الله انه قد وقع عصيان من الهرسك فجهز لهم جيشاً فقاتلوهم وتداخلت معهم دولة الروس وصارت تقويهم فاتسعت فتنتهم واشتعلت نار الحرب بين الدولة والروسيا وخسرت الدولة بهذا الحرب اموالاً كثيرة وقتل من العساكر ما لا يحصي واسر جمٌّ غفير من كبار الدولة وتملكت روسيا كثيراً من المدائن العظام حتى

وصلت الى قريب ادرنه فتوسطت الدول بالصلح وانعقد الصلح على ان يبقى بيد الروس ما تملكوه من البلاد وان الدولة تدفع لهم الغرامة الحربية وكان شيئاً كثيراً . ثم استولت الانكليز على قبرص بشرط ان تكون بأيديهم سنين موقتة وان يدفعوا للدولة قدر الخراج الذي كان يحصل منها

و بعدها حصلت الفتنة المشهورة بين والي مصر محمد توفيق باشا و بين عرابي باشا وهو من رؤساء عساكر توفيق باشا واتسع الامر في ذلك الى ان جاء الانكليز بعساكره البحرية نصرة لمحمد توفيق باشا وضربوا مدافعهم على الاسكندرية وقاتلوا عساكر عرابي باشا و بعد حرب عظيم حصلت الهزيمة على عساكر عرابي باشا وتملكت الانكليز الاسكندرية وذهب عرابي باشا ومن معه الى مصر ثم سارت الانكليز ورائه الى مصر و بعد حرب عظيم قبضوا على عرابي باشا وعلى كثير من رجاله فقتلوا جماعة منهم ونفوا جماعة نفياً موقتاً وجماعة نفياً مؤبداً وصار العفو عن قتل عرابي باشا ونفوه هو و بعض رجاله الى الهند واستولى الانكليز على القطر المصري ووضع عساكره بالقلعة على صورة انما قصد نصرة محمد علي باشا وان رغبتهم الاصلاح والتأييد له وانهم تحملوا في ذلك خسائر عظيمة فاذا استقامت الامور واستوفوا خسائرهم يخرجون منها واستولت دولة افرانسا على تونس واعمالها بالمكر والخديعة ثم توالت على الدولة الاضرار والمصائب وهجمت عليها جيوش الشدائد والنوائب وقد احاط رجال الظلم بالسلطان وداروا حوله من كل مكان ومنعوه عن الامة ومنعوا الامة عنه بما كانوا يختلقون له من الاكاذيب والوشايات الباطلة حتى امتصوا دماء الامة ووصلوا الى درجة خرجت عن دائرة التصور والتصديق فكانت حياة كل انسان رهينة وشاية واش او سوء ظن نمام اثيم حتى فرج الله عن الامة وقيض لها رجالا ضحوا ارواحهم في هذا السبيل وانقذوها من وهدة الهلاك وفرجوا عن سلطانها تلك الكروب وطلبوا منه اعادة القانون الاساسي بكل الحاح وقد

تحقق جلالته وتيقن بانه اذا امهل اجابة هذا الطلب فلربما يؤدي ذلك الى فتنة عظيمة فبادر واصدر ارادته باعادة القانون الاساسي وكان ذلك في اليوم الرابع والعشرين من شهر رجب سنة ست وعشرين وثلاثماية والف فتكسرت قيود المظالم وانفكت سلاسل الاستبداد وابتسمت جميع الثغور وانشرحت الصدور وزال الشقاق وساد الوفاق وقاموا بمظاهرات الفرح والسرور ابتهاجاً بعيد الدستور وقد رايت من البيروتيين منتهى الحماسة والحمية بهذه المظاهرات الادبية ومما يستحق الذكر ويجب ان يسطر على صفحات الدهر ان اهل بيروت ميالون بفطرتهم التي فطرهم الله عليها الى فعل الخيرات والاعمال الصالحات ورأيت فيهم عواطف حية وقلوباً حساسة تشعر بالانسانية وان في نفوس رجالها مدارك راقية وهمماً عالية فلا يتاخرون عن بذل المال في الصوالح العمومية فانظر الى جمعياتهم الخيرية التي منها جمعية مآثر التربية فغاية هذه الجمعية تعليم اولاد الفقراء على نفقتها حتى لايحرم من العلم انسان كعلم الدين والطب والصناعة والتجارة والاكتشافات العصرية ولا يخفى ان هذه الغاية هي من احسن الغايات واعظم المقاصد ويرؤس هذه الجمعية الوجيهان الماجدان والكريمان الفاضلان احمد مختار افندي بيهم وعمر افندي الداعوق ومن الجمعيات ايضاً في بيروت جمعية الحجاج التي اخذت على عاتقها النظر في شؤون المنقطعين من حجاج بيت الله الحرام بتقديم لوازمهم من ماكل ومشرب وتسفير لاوطانهم بكمال الارتياح وهذه ايضاً هي غاية حميدة وفعل عظيم ورئيس هذه الجمعية حضرة الوجيه الفاضل والعامل الكامل صاحب الفضيلة الحاج محي الدين افندي النصولي ومنها جمعية المقاصد الخيرية التي رئيسها العلامة الفاضل والحبر الجليل الكامل استاذ بيروت فضيلتلو الشيخ عبد الرحمن افندي الحوت ومنها جمعية ثمرة الاحسان ورئيسها العلامة المفضال عمدة اهل الكمال المرشد الكامل والحبر الجليل الفاضل فضيلتلو الشيخ مصطفى افندي نجا

ومنها لجنة التعليم الاسلامية وغيرها من الجمعيات الخيرية فجزا الله الجميع خير الجزاء ولمثل هذا فليعمل العاملون وبذلك فليتنافس المتنافسون وقد ذكرنا في مقدمة هذا الكتاب ان من فوائد التاريخ ذكر فضائل الاعمال من مثل هؤلاء الرجال الذين لهم محاسن تذكر ومآثر تشكر تتحلى بها جيد الزمان ويقتدى بها اهل الخير والاحسان والله المسؤول ان يوفقنا جميعاً لصالح الاعمال بمنه وكرمه آمين

﴿ مجلس المبعوثان ﴾

هو عبارة عن مجلس ينعقد من نواب الامة يجتمع لاجل المذاكرة باصلاحها ويسمى ايضاً مجلس الشوري فالاسلام قد حث الى اتباع هذه الطريقة الحسنة ونبه عليها فقد قال تعالى (وشاورهم في الامر) فقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يشاور اصحابه تطميناً لنفوسهم وتاكيداً لتوحيد الكلمة وربط عرى الاتفاق وتعليماً وارشاداً لهم ثم لما اعتادوا هذه الخصلة المحمودة والفوها واستمسكوا بها اثنى الله عليهم ومدحهم عليها فقال تعالى (وامرهم شوري بينهم) يعني بان لا يكون استبداداً واذا نظرنا الى قصة بلقيس ملكة سبأ لما ارسل لها سليمان عليه السلام رسوله الهدهد بكتابه الذي يدعوها به الى الاسلام والانقياد وتاملنا بجمعها لنواب رعيتها الذين كانوا ثلاثمائة واثني عشر رجلاً ينوب كل واحد منهم عن عشرة الاف رجل وبخطابها لهم بقولها (يا ايها الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة امراً حتى تشهدون) نعلم ان الشوري كانت قبل الاسلام وما قص الله علينا هذه القصة الا تنبيهاً لنا حتى نسير على هذه الخطة الحميدة والمنهج القويم ونبهنا على ان هذه الملكة كانت لا تستبد في امرٍ ما سواء كان جليلاً او حقيراً بل تشاور نواب رعيتها في كليات الامور وجزئياتها وفيه من ادبها وكمال عقلها ما لا يخفى = فياهل ترى ماذا كان جواب قومها لما أن سمعوا منها هذا

الخطاب الرقيق = كان جوابهم لها بان اظهروا لها نهاية الطاعة وكمال الانقياد في حالتي الحرب والسلم فقالوا لها (نحن اولوا قوة واولوا باس شديد والامر اليكِ فانظري ماذا تامرين) ولا يمكن جواب احسن من هذا الجواب . ثم لم تكن دعوة الخلفاء الراشدين بعد سيد الوجود صلى الله عليه وسلم الا على شكل داع يدعوهم الى الصلاة فيجتمعون في المسجد ويقف الخليفة ويعلن للامة ما ورد اليه من اخبار العمال وما حصل في الفتوحات وحركات الجيوش ويبدي رايه ثم يستطع ارائهم فكانوا لا يدخرون نصحاً ولا رايًا صائبًا الا وذكروه فيقول كل واحد منهم ما يراه من فكر او تدبير او استحسان لفعل الامير او اعتراض عليه كما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما اطلعهم على عزل خالد بن الوليد وولاية ابي عبيدة فنهض شاب من بين الجماعة وقال له يا ابن الخطاب عزلت اميرًا في الجاهلية والاسلام فاستنسبه الفاروق فقيل له انه من بني مخزوم فدعاه وذكر له الامر الذي دعاه الى عزل خالد وقال له اني لم اعزله عن سوء ولا خيانة واخذ يعدد في حسنات خالد وحسن ادارته في الحروب وتدبيره في الفتوحات الا انه كان شديد الباس ليس فيه لين ابي عبيدة ورايت ان البلاد بعد الفتح تحتاج الى عامل لين العريكة خفيف الوطأة طويل البال فوجدتها في ابي عبيدة فوليته فاستحسنوا منه ذلك واستصوبوه

﴿ المساواة ﴾

الاسلام يامر اهله بمعاملة كل من يدخل تحت رايته ويخضع لسلطانه ومساواتهم بانفسهم سواء بسواء ولذلك استمر المسيحيون وغيرهم منذ الفتح الاسلامي الى الآن وهم امنون مطمئنون متمتعون بحريتهم (لهم مالنا وعليهم ما علينا) وهذا اجمل تاريخ للاسلام يسجل على صفحات الزمان ويشهد بعظيم فضل الله تعالى على هذه الامة بهذا الدين العادل حدثنا التاريخ ان يهوديًا اشتكى عليًا للامام عمر رضي الله عنهما فقال له عمر قم يا ابا الحسن

واجلس امام خصمك فقام علي وظهر على وجهه انه متأثر فلما انتهت الدعوى سأله عمر هل كرهت يا علي ان تجلس امام خصمك فقال علي — لا — ولكن تأثرت لكونك لم تلاحظ المساواة بيننا بقولك لي يا ابا الحسن امام الخصم (لان الكنية تشير الى تعظيم) فانظر بالله هل قرات في تاريخ بني آدم ان رجلاً عظيماً في امة عظيمة اهتزت لسطوتها عروش الاكاسرة والقياصرة وهو ابن عم رسولها وزوج ابنته ومن المرشحين للخلافة قد ساوى الاسلام بينه و بين رجل اجنبي عن دينه من السوقة الا في هذا الدين

فالاسلام يامرنا بمجاملة اهل الكتاب لا من باب المواربة والمداهنة خوفاً منهم او طمعاً فيهم — كلا — بل يامرنا في ذلك عن صفاء نية وخلوص طوية و ينهانا عن غيبة احدهم كما ينهانا عن غيبة احدنا سواء بسواء ولنا اسوة حسنة بالرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم يجب ان نتأسى بها في معاملة اهل الكتاب فانه كان يحضر ولائمهم و يغشى مجالسهم و يشيع جنائزهم و يعزيهم على مصابهم و يعاملهم بكل انواع المعاملات الاجتماعية التي لا بد منها في كل امة بشرية محكومة بقانون واحد وطالما كان صلى الله عليه وسلم يقترض منهم نقوداً و يرهن عندهم امتعته الشريفة لا عجزاً من اصحابه ولا بخلاً لانه كان بين الصحابة الاغنياء وذوي الاملاك الشاسعة وكل واحد منهم مستعد لان يضحي نفسه وماله في سبيل مرضاة نبيه ولكنه كان يفعل ذلك تعليماً لامته وارشاداً لها وتنبيهاً على ان الاسلام لا يامر اهله بقطع العلائق الدنيوية مع من يعيشون معهم في مكان واحد

مرَّ رجل مسيحي ذات يوم على الامام عمر رضي الله عنه وهو يسأل الناس فقال سيدنا عمر لاصحابه اننا لم ننصف الرجل حيث اخذنا الضرائب منه حين اقتداره على الكسب افلا نردها له حين عجزه ونكفيه عن السؤال ثم امر له بمعاش يكفيه هو وعياله من بيت المال

قد قدم وفد النجاشي على النبي فقام يخدمهم بنفسه فنهض احد الصحابة وقال له نكفيك خدمتهم يا رسول الله فقال لهم قد عرفت بانكم تكفونني ولكن ملكهم لما قدم قومنا عليه خدمهم بنفسه واحب ان اقابله بخدمة قومه بنفسي كيف لا تفتخر المسلمون بهذا الدين العادل فانك اذا طالعت اسفار الامم واساطير الاولين فلم يمكن ان تجد مساواة تامر باحترام النوع البشري بمثل ما يامر به الاسلام

﴿ الحرية ﴾

الحرية هي التي جاهدت انوالها الابطال و بذلوا فيها كل رخيص وغال هل هي بدعة ولم تكن من الاسلام (كلا) ليست هي بدعة بل هي من الاسلام على اكمل اشكالها واتم معانيها وهي منقسمة الى قسمين مطلقة ومقيدة فالحرية المطلقة هي عبارة عن الافراط من كل قيد والانخلاع من كل رابط وهذه لا تليق الا بالحيوانات والحرية المقيدة هي التي تسمح للانسان باستعمال سائر خصائصه بدون ان يخشى مسيطرا عليه الا اذا تعدى حدوده التي حدها له الشرع العادل وهذه هي التي اشتاقت اليها نفوس الامم ومدت نحوها الاعناق وهي صاحبة القول الفصل والكلمة العليا وهي في ثلاثة اشياء في النفس والعلم والعقل وقد وضع لها الاسلام أُسساً متينة الدعائم قوية الاركان

فاما حرية النفس فهي عبارة عن عدم التمايز في الحقوق بين النفوس البشرية فكل نفس ترى انها حرة لا فرق بينها وبين غيرها في الحقوق الشخصية فيمكنها المدافعة عن حقوقها من تعدي الغير كما انه يجب عليها ان لا تتعدى حقوق الغير فمن تصفح تاريخ الامم المتقدمة يرَ ان اهل السيطرة والقهر قد ذللوا من كان تحت سيطرتهم من النوع الانساني واحرموهم من حرية نفوسهم البشرية وجعلوا حقوقهم وخصائصهم تحت تصرفهم الخاص بوجهونها حيث شاؤا وشاء هواهم فكانت كلمة (اعتقد

وانت اعمى) هي الكلمة المتبعة والناموس الاعظم وقد ماتت حريتهم ومات ما يبنى عليها من سمو المدارك ولذلك كانت تقوم الفتن وتعم الضغائن والاحن حتى كان ما كان كما يعلمه من اطلع على تاريخ تلك الزمان

جاء الاسلام وربى الامة العربية بقواعد محكمة واسس متينة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها اقامت الحجج على لسان الجبار وادبت الطاغين بيد القهار وقد رنّ صدى صوت هذا الدين المبين في الاقطار واشرقت على السموات والارضين هذه الانوار وانمحى كل فضل يدعى باصالة المحتد او بوفرة الغنى او بالانتساب الى قبيلة فقال تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم)

ما هي التقوى هل هي من الامور التي يمكن للانسان ان يحكم عليها بمجرد فعل فاعلها — كلا — فالتقوى ليست من الامور التي يمكن للانسان ان يحكم عليها بمجرد الفعل كاجتهاده في العبادات واصناف الخير فلربما تذهب ذلك هباء منثوراً لاجل نية وقعت في ضميره ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى وقد نبهنا القرآن الكريم على امثال ذلك فقال عز من قائل (يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكنّ خيراً منهنّ) وفي الحديث الصحيح (ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه و بينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه و بينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها)

فانظر كيف فتح الاسلام باب الفضل الرباني لكل من اراد الدخول فيه ولم يمنع منه احداً ثم لم يميز من اهله احداً عن احد حتى نهى عن تزكية المرء نفسه وحذّر من ان يدعى احد لنفسه او لغيره السعادة او الشقاوة او ينتحل لنفسه حقاً ليس لسائر الافراد فقال تعالى (فلا تزكوا انفسكم هو

اعلم بمن اتقى) وقال تعالى (وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى) وقال عز من قائل (فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتسائلون) ولما انزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم (وانذر عشيرتك الاقربين) جمعهم وقال لهم (يا عباس ويا صفية عمي النبي ويا فاطمة بنت محمد لست اغنى عنكم من الله شيأ ان لي عملي ولكم عملكم) فانظر كيف رفع الاسلام عن النفوس ذلة الاسر لنفس اخرى واعلم كل نفس انها هي التي ستدان وحدها عما جنت وتسأل عما كسبت ولن تغني عنها نفس مثلها

واما حرية العقل فقد اقتضت سنة الله في خلقه بانه لم يخلق الانسان مطبوعاً على عمل يقيم به اود حياته كما خلق الحيوان بل خلق الانسان مجرداً عن كل شيء الا ان الله تعالى منحه في مقابلة هذه الجهالة قوة عقلية تزيد وتنمو بزيادة المعلومات والمعقولات

حدثنا التاريخ عن احوال الامم الماضية باحاديث نقف عندها جيوش الاوهام حينما كان المسيطرون على الامم يصيحون في وجوه متبعيهم قائلين اطفئوا نور عقولكم اطمسوا انوار بصائركم لان الدين ينافي العقل جأ الدين الاسلامي وقرر لاهله بان الدين هو العقل (ومن لا عقل له لا دين له)

اثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم وبالغوا في الثناء عليه فقال لهم كيف عقل الرجل قالوا يا رسول الله نخبرك عن اجتهاده في العبادات واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال (انما ترتفع العباد غداً عند الله في الدرجات الزلفى على قدر عقولهم)

واما حرية العلم فقد صرح الاسلام بانه لا يتأتى فهم كلام الخالق الا بنور العلم وتوسيع النظر في المعقولات فقال تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وحذر المتكاسلين عن طلب العلم بسوء المنقلب واعلمهم بان جهلهم سيوردهم موارد العطب ويسوقهم الى الغضب فقال تعالى (ولئن اتيتهم بكل آية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا

مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) ووبخ القاصرين وقرّعهم ليعتبر اهل الفكر والنظر فقال تعالى (وكأين من اية في السموات والارض يرون عليها وهم عنها معرضون)

فقد تقرر ان الدين لم يدع لاحد على احد سلطاناً الا في حد يقام او في حق يسترد واناط هذا بالآمر لكن من دون ان يخوله حق السيطرة وعلى الآمر تنفيذ قوانين الشرع واحكامه على شرط ان لا يتجاوز الى السيطرة والعبث كما كان يقتضيه سلطان الرياسة المطلق فالاسلام لم يخول السلطان ان يتصرف بامور الرعية كما يشاء فلا شيء اشد على العقل والعواطف من سلب حرية الضمير ونزع ارادة النفس بداعي الاستبداد وهذا البلاء الذي مر على الامم في الدور السابق كان دفعه من اهم مقاصد الاسلام فالاسلام لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من كل ما يطهر النفوس و يجعلها صالحة لاداء وظائفها الا اشار اليها ونبه عليها فلاقاعدة دلت عليها التجارب وكان لها اثر في سعادة الانسان وترقيه الى اعلى الدرجات الا وهي صدى صوت اية قرانية او حديث من الاحاديث النبوية . زعم البعض من تلقاء انفسهم بان الاسلام هو عبارة عن التفرغ الكلي من العلائق الدنيوية والانفراط المطلق من الاميال البدنية واوّلوا التقوى بالخمول والكسل وترك الجد والعمل وظنوا ان المشي في الطرقات خلف الطبول وتحت الاعلام هو من قواعد الاسلام وهو بريء من جميع ذلك وماهذه الا بدع قد شوشت على العقول وشوهت وجه العقائد ما انزل الله بها من سلطان

هذا رسول الله واصحابه الذين هم ائمة الدين وامثلة الكمال كانوا كما يعلمه الخاص والعام و يحدثنا عنهم تاريخ الاسلام بانهم كانوا اهل الشيم والهمم وقادة العلاء والعظم لم يتركوا مظنة للفخار الا وردوها ولا راية للمجد الا نشروها حتى اعلوا كلمة الحق على الاباطيل وقوضوا دعائم الجور والاضاليل هذه هي نصوص الديانة الاسلامية وهذه احوال جمعيته الاولية فما

سمعنا بانهم فرّقوا بين الحاجيات الدينية والدنيوية وقد حماهم الله عن هذا الانقسام الذي هو مناف للدين والسلام

فهل قسم النبي عليه الصلاة والسلام الناس الى قسمين قسم امره بالعمل في الدنيا وترك الاخرة وقسم امره بالعمل للاخرة وترك الدنيا حتى صار القسم الاول جاهلاً في الدين جهلاً يودّيه الى الشكوك و يوقعه في الحرام او الشبهات والقسم الثاني جاهلاً في الدنيا جهلاً يوديه الى مد يده واراقة ماء وجهه = كلا = والله لا شيء من ذلك وهذا هو الفهم السيء المناقض للدين من كل وجه وهو معارض لاوامره ومعطل لا كثرها تعطيلاً مهماً

فقد حدثنا التاريخ ان ابا بكر كان تاجراً ولم يترك التجارة الا لما اشتغل بامر الخلافة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول (اعمل لدنياك كانك تعيش ابداً واعمل لاخرتك كانك تموت غداً) و يقول ايضاً (ليس خيركم من ترك دنياه لاخرته ولا آخرته لدنياه وانما خيركم من اخذ من هذه وهذه) وان الاسلام جاء لصلاح الدين والدنيا معاً لقوله تعالى (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة) وقد حث الاسلام على التقدم في الصناعات والاكتشافات وندب اليها بآيات كثيرة كلها ظاهرة البيان واضحة المعاني فقال تعالى = افلم ينظروا في ملكوت السموات والارض — انظروا ماذا في السموات والارض (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) و بكت المقصرين بقوله (افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) فهذه هي زبد الحكم الالهية وهذه هي الكمالات الاسلامية وكذلك سنة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وما كتبه لنا السلف الصالح رضوان الله عليهم كلها قواعد سهلة المأخذ واضحة المسالك وان غرض هذا الدين المبين هو ترقية حالتي الانسان المادية والادبية معاً لارتباطهما في بعضهما ارتباطاً محكماً

اللهم اني اعوذ بك من شياطين الاوهام ومن غاشيات الاحلام واستهديك الى صراطك المستقيم واسالك التوفيق للسير على هدي رسولك الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين

اتحفنا بهذا التقريظ حضرة العلامة الفاضل والحبر الجليل الكامل الجامع بين المعقول والمنقول والمشيد اركان الفروع والاصول فضيلتلو الشيخ مصطفى افندي نجا مفتي ولاية بيروت الجليلة حفظه الله تعالى

هذا الكتاب كروضة غناء ⁂ الك تنجلي في حلة وبهاء
واليك يبدي كلما طالعته ⁂ دررًا تضيء كانجم بسماء
وافا (لتنبيه الانام) بسيرة ⁂ نبوية وطريقة غراء
هو خير استاذ لتهذيب الملا ⁂ فمن اقتفاها فاز بالعلياء
ومن اقتنى هذا الكتاب وحازه ⁂ وجد الطريق لها بغير عناء
سفر شريف صادر عن (صالح) ⁂ حبر غدا من اصلح العلماء
خدم المدارس والمعارف خدمة ⁂ منا استحق بها اجل ثناء
وابان (للاسلام تاريخًا) سما ⁂ شرفًا وفاز باصدق الانباء
فادامه رب الانام موفقًا ⁂ وجزاه في الدارين خير جزاء

واتحفنا بهذا التقريظ ايضاً فريد زمانه ووحيد اقرانه حضرة العالم الفاضل صاحب الفضيلة الشيخ ابراهيم افندي المجذوب حفظه الله تعالى

جواهر (تنبيه الانام) اتى بها ⁂ لنا (صالح المدهون) بحر المعارف
له الفضل والافضال في حسن سبكة ⁂ يخبر عن ماضي السنين السوالف
كتاب جليل تحت طي سطوره ⁂ براعة لقمان وحكمة آصف
جليس انيس لا يمل حديثه ⁂ يقصر عن تقريظه كل واصف
جزى الله هذا الحبر ناسج برده ⁂ به جمعت لطفاً جميع اللطائف
ولا زال ركناً للعلوم واهلها ⁂ تنال به الاوطان اسمى المواقف
وينثر درًا من محاسن لفظه ⁂ بتالده نلتقي المنى وبطارف